



المعهد التونسي  
للدراستات الاستراتيجية

**I T E S**

دراسة حول:

**العنف في الفضاء الرياضي التونسي**

مارس 2018



- 5.....المقدمة العامة.....
- 8.....الفصل الأول: مدخل مفاهيمي إلى ظاهرة العنف في الفضاء الرياضي.....
- 10.....1. العنف الرمزي في الفضاء الرياضي.....
- 12.....2. العنف اللفظي في الفضاء الرياضي.....
- 15.....3. العنف المادي في الفضاء الرياضي.....
- 17.....الفصل الثاني: دوافع العنف في الفضاء الرياضي والأطراف المسؤولة.....
- 17.....1. الإعلام الرياضي والخطاب اللامسؤول.....
- 19.....2. اللاعبين والمدربون والمسؤولون وسيطرة الرغبة المفرطة في الفوز.....
- 20.....3. الحكام والأخطاء التحكيمية.....
- 20.....4. الجماهير الرياضية والتعصب للفريق.....
- 24.....5. أعضاء مكاتب الجامعات الرياضية والمصالح الشخصية.....
- 24.....6. رجال الأمن والأطباء المسعفون.....
- 26.....7. التعاطي القانوني مع العنف الرياضي: تشريعات بين الحدود والجدوى.....
- 27.....8. المنشأة الرياضية: غياب السلامة ومحدودية التهيئة والصيانة.....
- 29.....الفصل الثالث: مظاهر العنف في الرياضة التونسية: كرة القدم أمودجا.....
- الفصل الرابع: بدايات تشكّل المجموعات في الرياضة التونسية وعلاقتها بالعنف: مجموعات الترجي الرياضي التونسي والنادي الإفريقي أمودجا.....
- 37.....1. خصوصية وكيفية تشكّل مجموعات فريقي الترجي والإفريقي.....
- 39.....2. أشكال التواصل داخل مجموعات فريقي الترجي والإفريقي.....
- 42.....3. دوافع العنف لدى مجموعات فريقي الترجي والإفريقي:.....

- أ. العنف كغاية.....43.....
- ب. العدوان كوسيلة.....44.....
4. واقع المجموعات والعقليات المتحكمة فيها وأسباب سقوطها في العنف: .....45.....
- أ. المجموعات والتهميش الجمعياتي.....45.....
- ب. عقليات مجموعات فريقي الترجي والافريقي وتجلياتها داخل الفضاء الرياضي.....46.....
- ت. تأثير انفتاح المجموعات على النماذج الغربية وانعكاسها داخل الفضاء الرياضي...49.....
- الفصل الخامس: مقترحات وحلول للحدّ من العنف الرياضي.....52.....
1. القوانين التأديبية وآليات التنفيذ.....52.....
2. الإعلام الرياضي والخطاب المعتدل.....52.....
3. المنشأة الرياضية والحوكمة في التسيير.....52.....
4. الجانب العلائقي بين المجموعات والجمعيات الرياضية ورجال الأمن.....53.....
5. فرض الروح الرياضية ودرء الرياضة عن مظاهر الفساد.....53.....
- الخاتمة.....54.....
- البليوغرافيا.....55.....

## فهرس الجداول

الصفحة	عنوان الجدول	ع/ر
29	عدد المقابلات المنتظمة في الرياضات الجماعية خلال سنتي 2014 و2015	1
32	الأحداث المخلة بالسلوك الحضاري المرتكبة داخل الفضاءات الرياضية	2
34	أحداث العنف والشغب بالمنشآت الرياضية خلال سنتي 2017 و2018	3
35	إصابات وأحداث العنف المسجلة داخل الفضاء الرياضي إلى حدود 13 فيفري 2018	4
36	حوادث العنف المرتكبة من قبل الجمهور	5
40	نماذج من رموز ودلالات التفاعل والتواصل بين المجموعات داخل الفضاء الرياضي	6
47	دلالات أهازيج جماهير النادي الافريقي والترجي الرياضي التونسي	7
49	أمثلة من العقلية المتبناة من قبل مجموعات النادي الافريقي والترجي الرياضي التونسي	8

## فهرس الجداول

الصفحة	عنوان الرسم البياني	ع/ر
30	مقارنة بين عدد المقابلات المنتظمة خلال سنتي 2014 و2015 في الرياضات الجماعية التونسية	1
33	أحداث العنف داخل الفضاءات الرياضية خلال الموسم الرياضي 2013/ 2014	2
34	مقارنة بين سنتي 2017 و2018 حول أحداث العنف المرتكبة داخل الفضاءات الرياضية	3

## المقدمة العامة

إنّ من مميزات البحث السوسيولوجي أنه ينفذ إلى شتى الإشكاليات والظواهر الاجتماعية من خلال البحث في الميكانيزمات والمؤثرات والمتغيرات التي ساهمت في ظهورها داخل المجتمع بصفة عامة. وفي هذه الدراسة حول مسألة الجمهور الرياضي وآليات تشكّل العنف داخل الفضاء الرياضي وخارجه بشكل خاص، فإنّ الأمر أصبح يدعو إلى الحيرة والتساؤل. فالملاحظ، اليوم، أنّ ظاهرة العنف أصبحت متكررة بصفة كبيرة في الملاعب الرياضية، لا سيّما الملاعب التونسية. بل تجاوز هذا العنف الفضاءات الرياضية ليغزو، باسم الرياضة وتشجيع الفريق، فضاءات أخرى متعدّدة: الواقعي منها (المقاهي والمؤسسات التربويّة...)، والافتراضي (مواقع التواصل الاجتماعي ووسائل الإعلام). كما تجاوز الصراع والتنافس الرياضي الجماهير المتنافسة ليشمل جمهور الفريق الواحد، تجسّده مجموعات تشجيع مختلفة الأفكار والرؤى والشعارات والتوجهات والانتماءات والعقليات، والمستغلة لنفوذها المختلف. وهي سلوكيات غير مألوفة في المجتمع المحلي، وفي الفضاء الرياضي التونسي. لقد أصبحت الظاهرة معقّدة ومركّبة، وتحركها خاصية المراهنة ونوازع العنف الكامنة في الفرد مهما كان انتماؤه وظروف تنشئته الاجتماعية والبيئية. أصبحنا نلاحظ حضور العنف بكلّ أنواعه وتقسيماته، حيث تصاعد بطرق مختلفة من عنف لفظي بسيط إلى عنف مادي خطير تمارسه هذه الفئات الشبابية، خاصة المنتمون منهم إلى مجموعات التشجيع بطرق وأساليب تختلف باختلاف الزمان والمكان والرهان...

إنّ حالة التعصّب التي يعاني منها فئة من الجمهور الرياضي داخل المجتمع، وفي مختلف مجالات الحياة اليومية سواء كان تعصّبا سياسيا أو دينيا أو اجتماعيا أو رياضيا، ساهمت في مجملها في ظهور هذا العنف بتعدّد أسبابه ودوافعه. هذا المجال الرياضي يعني الكثير لهذه الفئة الشبابية من المشجعين، فتمثّل لهم فضاء للتعبير والترفيه والتفاعل مع الآخرين. وتحوّلت، بالتالي، الفضاءات الرياضية مسرحا لهذه التعبيرات والسلوكات جرّاء ما يعيشونه من ضغوطات الحياة اليومية والمجتمعية. فيصبح المجال الرياضي بذلك، متنفسا للجمهور والمجموعات الجماهيرية ذات العقليات غير المألوفة في الثقافة الرياضية التونسية، خاصة والثقافة التونسية عامة. لقد أصبحت هذه الجماهير تتبنى عديد القضايا الشخصية والمجتمعية، وتعبّر عنها بطريقتهم الخاصة والمختلفة. في ظلّ حالة الكبت والإحباط والتهميش والظلم التي أصبح يعيشها هؤلاء الفاعلون الاجتماعيون، لجأت مجموعات الجماهير إلى تجسيد عالم خاص بها لإثبات الولاء والانتماء من جهة أولى، وللتعبير عن قضاياها المجتمعية المراهنة من جهة ثانية. فابتكر أفراد مجموعات المشجعين أساليب وطرقا جديدة، جسّدوها في انفعالاتهم واندفاعهم من أجل تغيير واقعهم، والثورة على الأنظمة السائدة والكلاسيكية، مستغلين في ذلك فضاءات شاسعة تغيب فيها الرقابة الأمنية والعائلية الكافية، ممّا ساهم في ظهورها بصفة متكررة ومختلفة باختلاف الإطار المكاني والزمني.

هذه السلوكات، غاب فيها المنطق، وحضرت العاطفة، خاصة في إثبات الولاء للنادي والمجموعة التي ينتمي إليها هؤلاء الأفراد. وبذلك، تجاوزت الرياضة عموماً، وكرة القدم على وجه التخصيص، هدفها الترفيهي، والتحققت بمصاف المؤثرات التي تشعل الصراع بين الجمهور الرياضي، لا سيما الفئات الشبابية، من خلال تأجيج العنف والتناحر فيما بينهم طبقاً لتوجهات وعقليات مختلفة. فقد تحوّل الانتماء والولاء والعشق للفريق الرياضي إلى تعصّب، وتحوّل الآخر من منافس إلى عدوّ، وتحوّلت المنافسات الرياضية إلى مجال للتعبير عن مختلف المشاكل داخل المجتمع بمختلف أنواعها.

نحاول في هذه الدراسة البحث في أسباب العنف لدى الجمهور الرياضي داخل الفضاء الرياضي وخارجه، خاصّة وأنّ هناك من الدارسين والمهتمين بالشأن الرياضي من جعل الأسباب الأولى للعنف مرتبطة بالثقافة وطريقة التنشئة الاجتماعيّة، وآخرون ربطوها بطريقة تعامل الأمن والدولة مع مثيري العنف وغياب الوعي والروح الرياضيّة والأخلاق الأولمبية لدى الجمهور الرياضي. هذا وقد اعتبر علماء الاجتماع أنّ الثورة على النظام الكلاسيكي لدى الجمهور، والتحوّل من جمهور مقسّم إلى جمهور مكثّف في شكل مجموعات، ساهم في ارتفاع ظاهرة العنف، وساهم في ظهور الصراع والنزاعات إلى جانب المشاكل الاقتصاديّة والنفسية والسياسية التي يعاني منها كلّ مجتمع. من هنا، نستنج أنّ العنف في الفضاء الرياضي تجاوز قداسته كمجال للترفيه والاحتفال إلى مجال للعنف والصراع. وبذلك، أصبحت الرياضة متنفساً للشباب والشعوب، حيث تجاوزنا التفاعل الإيجابي وحبّ الفريق إلى التصفيات السياسية وخدمة أغراض أخرى لا علاقة لها بالمجال الرياضي، خاصّة وأنّ العنف تجاوزته الأحداث ليصل إلى القتل. مثال ذلك مقتل 72 مشجعاً في مصر من المنتميين إلى مجموعة «الألتراس الأهلاوي»، أو ما نتج عن عنف جماهير منتخب البيرو سنة 1964 ومقتل أكثر من 600 مشجع. بذلك، تجاوزت الرياضة فضاء الملعب لتشمل الشارع والمدينة وحتى الفضاءات الرقمية (وسائل الاتصال السمعي البصري الحديثة وشبكات التواصل الاجتماعي).

إنّ العنف والشغب حاضران بصفة كبيرة في المجتمع التونسي. وهذه الأعمال العنيفة نجدها حاضرة في كلّ موسم رياضي، منتشرة حتى خارج الفضاء الرياضي لتصل إلى الشوارع والمقاهي، خاصة وأنّ معظم المباريات الرياضيّة صارت تدور بحضور جمهور فريق واحد وبعده محدود منه. هذا، فضلاً عن المباريات «الصامتة» التي يغيب فيها الجمهور قسراً Hui-clos، خوفاً من تفاقم ظاهرة العنف، وحماية لمشجعي كرة القدم. ورغم هذا، فإنّ العنف في الملاعب التونسية لم يبلغ أقصاه مقارنة بمجموعات أخرى رغم ما تعرفه المدرجات من «تعددية» وتنوع مجموعات الجماهير، المتهمة الرئيسية بإثارة أعمال العنف في الشغب في الملاعب، خاصة مع تزايد عدد منتسبيها.

إنّ هذه الدراسة محاولة لمعرفة التفاعلات والعلاقات والروابط الاجتماعية بين الفئات الشبابية، وكيف ساهمت في تشكّل العنف والصراع داخل الفضاء الرياضي وخارجه. وهي محاولة للإجابة عن جملة التساؤلات المطروحة اليوم حول مجموعات الجماهير الدخيلة عن الثقافة والمجتمع التونسي بصفة عامة وعن الرياضة والجماهير التونسية بصفة خاصة. وقد اعتمدنا في الجانب النظري على براديغم التفاعلية الرمزية، وهو الإطار النظري الأمثل لموضوع الدراسة بما يوفره من آليات ودقة منهجية لدراسة الرموز والتفاعلات والعلاقات بين الفئات الشبابية الفاعلة في المشهد الرياضي.

لقد أصبحت ظاهرة العنف في الملاعب التونسية واسعة الانتشار، لكن الجديد في المواسم الرياضية الأخيرة هو تعدّد مظاهر العنف وتغيّر طبيعته. فنقطة التحوّل جاءت مع ظهور المجموعات الجماهيرية المختلفة في الأفكار والتوجهات والشعارات وبذلك تحوّلت ظاهرة العنف والصراع بين هؤلاء الشباب في الوسط الرياضي إلى ظاهرة عامّة، يعرفها المجتمع بمختلف فئاته وشرائحه الاجتماعية، متصدّرة الواقع الاجتماعي، وكامنة في البنى الاجتماعية والثقافية، حيث يظلّ الجدل قائماً حول العنف كمبحث خصب للمفكرين والعلماء. فتزايدت المشاكل الاجتماعية لمختلف الأفراد والاختلاف في مستوى الضبط الاجتماعي وسرعة التغييرات أدت إلى شعور هؤلاء الأفراد بالإحباط نتيجة الصراع بين رغباتهم وعدم القدرة على تحقيقها، حيث أصبحوا يعبرون عنها بطرق وسلوكيات متفاوتة العدوانية.

إنّ هذه الدراسة حول العنف في الفضاء الرياضي التونسي تفرض ذاتها حين نجد أنّ رقم أحداث العنف في ملاعب كرة القدم التونسية سنة 2017 بلغ 680 حادثة أدّت إلى إصابات بليغة لدى الجماهير واللاعبين والحكام ورجال الأمن، وإلى إلحاق أضرار جسيمة بالمنشآت الرياضية، تتحمّل الجمعيات الرياضية مسؤولية تسديد نفقات إصلاحها رغم أنها تعاني من أزمت مالية خانقة. والعنف في الملاعب يتراوح بين المادي والرمزي والاعتداء على الأخلاق الحميدة والقيم الأولمبية.

سنسعى في هذه الدراسة حول العنف في الفضاء الرياضي التونسي إلى تناول المسألة من خمس زوايا متداخلة، نستعرض من خلالها العنف بأبعاده الرمزية واللفظية والمادية، ودوافعه والأطراف المسؤولة عنه، ومظاهره لاسيّما في رياضة كرة القدم، ومساهمة مجموعات المشجعين في تكثّفه، لننتهي في الأخير بتقديم بعض المقترحات والحلول للحدّ من العنف، بما فيها من قوانين تأديبية وآليات تنفيذ وإعلام حرّ ومحايد في منأى عن التجاذبات والاختلافات والصراعات، وتنظيم جيّد داخل المنشآت الرياضية، ونشر لقيم الروح الرياضية.



## الفصل الأول:

### مدخل مفاهيمي إلى ظاهرة العنف في الفضاء الرياضي:

يُعتبر مفهوم العنف، في شكله العام<sup>1</sup>، من المفاهيم الرئيسية في دراستنا ويختلف الباحثون في تعريفه حسب اختلاف تخصصاتهم. إذ تشير لفظة «عنف» في العموم إلى معاني القوة<sup>2</sup> والسلطة<sup>3</sup>، وفي مواقع أخرى تشير إلى معنى العدوان<sup>4</sup>. إلا أن العنف، في الإجمال، هو خاصية ملازمة للسلوك الإنساني وهو فعل إيذائي ينجر عنه إلحاق الضرر بفرد أو جماعة بدرجات متفاوتة. ويعني العنف أيضا «ضغط جسدي أو معنوي ذو طابع فردي أو جماعي ينزله الإنسان كالقدر الذي يتحمله على أنه مساس بممارسة حق أساسي»<sup>5</sup>.

يفسّر معجم المصطلحات الاجتماعية العنف بأنه «الإيذاء باليد أو باللسان أو بالفعل أو بالكلمة، وعادة ما يكون العنف اللفظي مقدّمة تفترض حصول عنف مادي»<sup>6</sup>. ويعرّف Robert McAfee Brown العنف على أنه «انتهاك للشخصية وأنه تعدّ على الآخر أو إنكاره أو تجاهله ماديا»<sup>6</sup>.

---

<sup>1</sup> تعود أصل الكلمة إلى اللاتينية وتعني الإكراه غير القانوني. وهي كلمة مشتقة من vis والتي تعني القوة التي تُسلط على الإنسان». انظر: كورنو (جيرار)، معجم المصطلحات القانونية، ترجمة منصور القاضي، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، ط 1، بيروت، 1990، ص 145

<sup>2</sup> «القوة، بالمعنى الأخلاقي، هي فضيلة الإنسان الذي يمتلك شجاعة رفض الخضوع لسلطان العنف. والإنسان القوي ليس من يمتلك وسائل القوة والعنف، بل من يسيطر على أهوائه، ومن يقاوم الانحراف للأهواء الجماعية، ويمتلك السيادة على مصيره.

<sup>3</sup> يعتقد Michel Foucault أن «السلطة لم تعد تُفهم بوصفها تقتصر على الدولة بمؤسساتها وأجهزتها وشرطتها وقوانينها، بل تفهم بوصفها جملة من علاقات القوة المحايثة والمنبثة في الفضاء الاجتماعي بكل مجالاته ودوائره ومؤسساته». وبهذا المعنى، تبدو علاقة الواحد بالآخر هي علاقة سلطوية تتشكل في المجال الذي تمارس فيه، من خلال لعبة المواجهات التي تدعمها، أو الاستراتيجيات التي تستخدمها لكي تفعل وتؤثر، أو لكي تترجم في جهاز مؤسسي أو في شكل قانوني أو في خضوع اجتماعي. «أما السلطة المرتبطة بالمعرفة، فإننتاج هذه الأخيرة لم يعد لمعرفة البشر أفرادا وجماعات، بل إخضاعهم وتطويعهم. وهكذا صارت لكل سلطة معرفتها». راجع: حرب (علي)، هكذا أقرأ ميشال فوكو، مجلة نزوى NIZWA، العدد 83، يوليو 2015، ص 34-35.

<sup>4</sup> العدوان في معناه الضيق يشير إلى تصرف عدائي مخرب غير متكيف. وفي علم النفس يعني «مجموعة من الميول تهدف إلى التخريب والإرغام والإذلال للغير». والعدوان أشمل من العنف حيث يمكن ظهوره دون أي حافز أو تحريض، إلا أن Freud يؤكد أن هناك علاقة وطيدة بين العدوان والكبوت، فمحاولة إشباع رغبة مكبوحة أو حرمان غالبا ما تُترجم -حسب Freud- على شكل عدوان يهدف إلى تجاوز هذا الحرمان ودحضه.

راجع: Dictionnaire Encyclopédique Quillet ; Paris ; 1981 ; P. 97.

<sup>5</sup> ريمون، بودون (1986)، المعجم النقدي لعلم الاجتماع، ترجمة سليم حدّاد، ديوان المطبوعات الجامعية، ط 1، الجزائر، ص. 397.

<sup>6</sup> حسن، توفيق إبراهيم (1992)، ظاهرة العنف السياسي في النظم العربية، مركز دراسات الوحدة العربية، ط 1، بيروت، ص. 43.

يُعرّف Rokearcl العنف بـ «الاستخدام غير الشرعي للقوة أو التهديد باستخدامها لإلحاق الأذى والضرر بالآخرين»<sup>7</sup> ويرى جميل صليبا العنف أنه «فعل مضاد للرفق ومرادف للشدة والقسوة... فكل فعل يخالف طبيعة الشيء ويكون مفروضا عليه من الخارج هو بمعنى ما فعل عنيف (violent). والعنيف أيضا القوي الذي تشتد سورته بازدياد الموانع التي تعترض سبيله كالريح العاصفة والثورة الجارفة»<sup>8</sup>.

تحمل ظاهرة العنف في تعريفها ثلاثة اتجاهات فكرية، حسب ما جاء في بحث ماجستير في التسيير الرياضي للطالب حاتم العوني. تتمثل هذه الاتجاهات في المنظور القانوني والمنظور الاجتماعي والمنظور النفسي، وفيما يلي مزيد من توضيح لهذه الاتجاهات الثلاث:

#### • الاتجاه الأول:

تعريف العنف من منظور قانوني، وهو أن العنف هو استخدام الضغط أو القوة استخداماً غير مشروع أو غير مطابق للقانون من شأنه التأثير على إرادة فرد ما.

#### • الاتجاه الثاني:

تعريف العنف من منظور اجتماعي، وهو أن العنف هو سلوك أو فعل يتسم بالعدوانية، يصدر عن طرف قد يكون فرداً أو جماعة أو طبقة اجتماعية أو دولة بهدف استغلال أو إخضاع طرف آخر في إطار علاقة قوة غير متكافئة، مما يتسبب في أحداث أضرار مادية أو معنوية أو نفسية لفرد أو جماعة أو طبقة اجتماعية أو دولة أخرى. كما يُعرف العنف على أنه «أحد أنماط السلوك العدواني الذي ينتج من وجود علاقات غير متكافئة في إطار نظام تقسيم العمل بين الأفراد وما يترتب على ذلك من تحديد للأدوار ومكانة كل فرد وفقاً لما يمليه النظام الاجتماعي والاقتصادي السائد في المجتمع. يعني العنف، بالتالي، من المنظور الاجتماعي خلافاً وظيفياً في توازن العلاقات الاجتماعية بين الأفراد ينتج من اعتبارات ثقافية واجتماعية سائدة في المجتمع فيؤدي إلى عدوان فرد على آخر.

<sup>7</sup> جان ماري، مولر (2009)، اللاعنفي في التربية، ترجمة محمد علي عبد الجليل، معابر للنشر والتوزيع، ط1، دمشق، ص. 61.

<sup>8</sup> جميل، صليبا (1982)، المعجم الفلسفي، جزء 2، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ص. 670.

## • الاتجاه الثالث:

تعريف العنف من منظور نفسي، وهو أن العنف هو نمط من أنماط السلوك ينبع عن حالة من الإحباط نتيجة لصراعات نفسية لا شعورية تنتاب الفرد وتوقه عن تحقيق أهدافه، ولذلك هو يلجأ إلى العنف للتنفيس عن قوى الإحباط الكامنة.

ويعني العنف الرياضي، في شكله الخاص، حسب الباحث محمد الحسن بأنه «القوة اللازمة التي تستعمل في حلّ العلاقات المتأزّمة بين الفرق الرياضية المتبارية أو بين الفريق الرياضي والجمهور المؤيد للعبة أو المعارض لها.» ويُرجع الحسن أحداث العنف الواقعة في الملاعب الرياضية إلى خسارة فريق ضدّ فريق آخر أو إلى تشجيع مؤيدين لفريق ما ضدّ فريق آخر.

يعرّف الباحث لازال العنف الرياضي بـ«الأقوال والكتابات والأفعال التي تسبق أو ترافق أو تتبع أو تنتج عن لقاء رياضي أو منافسة رياضية.» (Jean Yves Lassalle, 1991). ويعرفه الباحث عبد الرحمان محمد العيسوي بـ«الأعمال العدوانية والتصرفات غير اللائقة ولا أخلاقية التي تعد خرقاً للأنظمة والقوانين المدنية المعمول بها سواء وقعت هذه الأعمال داخل الملعب أو خارجه.» (عبد الرحمان محمد العيسوي، 1997). وقد تضمّن عنف الملاعب، على حدّ تعبير Marc Perlman ممارسات فعلية وماديّة أقل ما توصف به «قلة الرفق» أو «البربريّة»، وممارسات منتسبي مجموعات التشجيع فيما بينهم فيما يمكن اعتباره تعبير عن حالة من الرفض للأوضاع السائدة من جهة، وحب السيطرة وإقصاء الآخر من جهة أخرى. ويرتبط عنف الجماهير الرياضية عادة بظاهرة الشغب «ويقصد به مجموعة الأنماط السلوكية المرتبطة بالانفعالات والتي تصدر عن المشاهدين للمنافسات الرياضية تحت ظروف معينة والتي تتصف بأنها خارجة عن السلوك العام الذي يحدده المجتمع وفقاً لظروفه ومعاييرها الاجتماعية والتربوية.»<sup>9</sup>

## 1. العنف الرمزي في الفضاء الرياضي:

لقد أدّى الاستخدام العام والساذج لمفهوم العنف الرمزي إلى إضعاف دلالاته الواضحة وتفريغها من الاعتبارات السوسولوجيّة لأصولها الفكرية. ويمكن أن نجزم هنا أنّ مفهوم العنف الرمزي (-La vio lence symbolique) وما جاوره من مفاهيم السلطة الرمزيّة والرأسمال الرمزي وغيرها من أكثر مفاهيم السوسولوجيا غموضاً وإثارة للجدل. كما وجب الاعتراف أنه لا يزال عصياً على التحديد العلمي الدقيق والصارم رغم تعدّد محاولات ترويضه التي لم تفلح في إخراج هذا المفهوم إلى مرحلة النضج والتكامل نظير ما ينطوي عليه من تشابك وغموض وضبابيّة.

يرى بيار بورديو (Bourdieu) أنّ العنف الرمزي يتجسّد بين الفاعلين الاجتماعيين من خلال سلطة رمزيّة داخل الفضاء الاجتماعي وخارجه، فهي «أيّ نفوذ يفلح في فرض دلالات معيّنة بوصفها دلالات شرعيّة، حاجبا علاقات القوة التي تؤصّل قوته». ويعرّف الاجتماعي الفرنسي Bourdieu الهيمنة الرمزيّة بـ«السلطة الرمزيّة وهي سلطة خفيّة لا مرئيّة والتي لا يمكن أن تُمارس إلا بتواطؤ أولئك الذين يريدون الاعتراف بكونهم يخضعون لها».<sup>10</sup>

يتفرع عن هذه الممارسات الرمزيّة المنتشرة في المجتمعات على اختلاف خصائصها ودرجة تطورها، حسب ما أثبتته التجربة الاجتماعيّة، صراع رمزي يفترض تصوّرا معيّنا عن العالم الاجتماعي الذي يشترط أن يكون أكثر تلاؤما مع رغبات وحاجات ومصالح «الأفراد المهيمنين». هذا الاحتكار وكذلك الهيمنة يتجسدان، خاصّة، من خلال الاستفادة من تطوّر عدد المنخرطين والموالين داخل مجموعات التشجيع وأقدميّة التأسيس والتحالفات المبرمة بين المجموعات بهدف فرض نمط من الهيمنة، من ذلك مثلا ثنائي Leaders Clubistes و Doddgers Clubistes في المدرجات الشماليّة لملعب كرة القدم، و Supra Zappatista في المدرجات الجنوبيّة لملعب كرة القدم. ومن هنا تبث هذه المجموعات والأفراد نظام تصوراتها وخطابها ولغتها الخاصة سعيا لتبرير وشرعنة هيمنتها في المجال الرياضي. فتزداد قوة علاقات التفاعل الاجتماعي والهيمنة والغلبة. وهو ما يؤثّر بصفة واضحة وأكيدة على الممارسات العينية الظاهرة بين هؤلاء الفاعلين الاجتماعيين التي تصبح متواترة ومتكررة. وتزيد مثل هذه الممارسات من شدّة الاضطرابات والتوترات، وتؤسس لغلبة مجموعة على حساب أخرى. وهو ما أكّده بورديو (Bourdieu) حين صرّح أنّ «كلّ سلطة من العنف الرمزي هي كلّ سلطة تتوصّل إلى فرض معنى على أساس أنها شرعيّة، مع إخفاء علاقة النفوذ التي تهيكّل في أساس قوتها، وإمّا هي تضيف قوتها الخاصة أي بضبط قوتها الرمزيّة والتي لها علاقة بالنفوذ».<sup>11</sup>

لا يشترط العنف الرمزي، إذن، وسائل ماديّة للإخضاع بقدر القدرة الفائقة على ترسيخ وضعيات الهيمنة والقوة والتمكّن والجبروت داخل الفضاء والمجال الاجتماعي المستهدف، ولعلّ المجال الرياضي أكبر مثال اجتماعي حي على ما سبق. إذ تتكثّف وتتشابك العلاقات الاجتماعيّة في هذا الفضاء الشاسع، الذي يغلب عليه طابع التحرّر من كافة أشكال المراقبة الاجتماعيّة، وتتعدّد فيه مظاهر التفاعل الاجتماعي وتتداخل. فتصبح العلاقات فيه غير متوازنة، قد تصل إلى حدّ التضارب أحيانا، وفي ديناميكيّة متواصلة.

<sup>9</sup> لطيفة، جعيدان (2007)، العنف في المجال الرياضي، رسالة بحث ماجستير، ص.69.

<sup>10</sup> Pierre. Bourdieu (1997), Sur le Pouvoir Symbolique, Ed. Minuit, Paris, P. 405

<sup>11</sup> Pierre. Bourdieu et Jean Claude. Passerons (1970), La Reproduction Elément Pour la Théorie Du Système D'enseignement, Ed. Minuit, Paris, P. 12

## 2. العنف اللفظي في الفضاء الرياضي:

إذا كان العنف الرمزي عنفا خفياً غير معلنا، فإنّ العنف اللفظي عنف ظاهر بالممارسة. وهو ما نلاحظه داخل الفضاء الرياضي خاصة من خلال الأهازيج والشعارات التي ترفعها الجماهير. «فكلّ جملة تُنطق هي فعلٌ كلاميٌّ يُفسَّر لا بمعناه بل بتأثيره».<sup>12</sup>

ويتمثّل العنف اللفظي في الفضاء الرياضي في استخدام الكلام المُصنّف منافي للأخلاق أو الخارج عمّا اتفق على قبوله اجتماعيا وثقافيا. وهناك من يعرف العنف اللفظي على أنه «سلوك منطوق أو مكتوب يتخذ طابعا هجوميا أو دفاعيا يمارسه فرد أو جماعة أو هيئة، وذلك عند حصول ضرر مادي أو معنوي أو عند حصول مواجهة أو صراع أو اعتداء».<sup>13</sup> ونجد العنف اللفظي، في العديد من الدراسات، أنه الإساءة اللفظية الأكثر تداولا بين مختلف الفاعلين الرياضيين (مشجعين، مسيرين، لاعبين...) وهو «شكل من أشكال الممارسة رغم ارتباطه بالقهر النفسي إلا أنه يبرز من خلال غياب تعبير جسدي كوسيلة أولى للتعبير».<sup>14</sup>

وفرتّ الفضاءات الرياضية الأرضية الملائمة لانتشار العنف اللفظي باعتبارها المتنفس الأوّل والأبرز الذي يمكّن من الكشف عن المخزون النفسي والاجتماعي للأفراد. فهو فضاء الحشد حيث تلتقي جماهير تحكمها علاقات اجتماعية ذات طابع انفعالي تبني على أساس علاقات شخصية أو ذاتية هما يضمن لمختلف الفاعلين الاجتماعيين فرص التواصل والصراع والعنف في آن واحد. فأصبح، بذلك، الفضاء الرياضي ملجأ ومتنفسا خاصة في ظلّ غياب كافة أشكال المراقبة، لينساق الأفراد (المشجعون) مع المجموعة تحت وطأة عديد التعبيرات والمؤثرات. فيرتبط تشكّل العنف، بالتالي، بالسياق العام للمجتمع والمجال الرياضي. حيث تنصاع هذه المجموعات الجماهيرية وتتأثر في تفاعلاتها وتمثلاتها وسلوكاتها لثنائية المسايمة والمغايرة. «فعمليات المسايمة والمغايرة أحد أشكال التفاعل الاجتماعي، كما أنه مفهوم وثيق الصلة بالتسهيل الاجتماعي. وتعني المسايمة أن يتحكّم ويعتقد وينصرف الفرد وفق أحكام وعقائد وتصرفات الجماعة. والمغايرة عكس مفهوم المسايمة فهي تعني التنوع السلوكي في أحكام الفرد واعتقاده وتصرفه في مقابل ضغوط الفريق».<sup>15</sup>

<sup>12</sup> جان جاك، لوسركل (2005) عنف اللغة، ترجمة محمد بدوي، المركز الثقافي العربي، الدار العربية للعلوم، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، الدار البيضاء، بيروت، ط1، ص. 392.

<sup>13</sup> عبد الكريم، النفوطي (2014)، الجمهور الرياضي وآليات تشكّل العنف، بحث ماجستير في علم الاجتماع، إشراف عبد الستار السحباني، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية بتونس، تونس، ص. 105.

<sup>14</sup> المرجع السابق، ص. 106.

<sup>15</sup> أمين أنور، الخولي (1996)، الرياضة والمجتمع، عالم المعرفة، سلسلة عدد 216، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب - الكويت، ص. 229.

ويرتبط مفهوم المساييرة والمغايرة بالضغوط التي تطرأ على جماعة اجتماعية ما بغض النظر إن كانت جماعة محدودة العدد أو واسعة الانتشار، وهو مفهوم من شأنه أن يوضح طبيعة العلاقات التي تحكم الفاعلين الاجتماعيين وسماتهم الشخصية من جهة وبين الضغوط التي يزرعون تحت وطأتها من جهة أخرى. ومن هذا المنطلق فإن مجموعات التشجيع، باعتبارها جماعة اجتماعية متماسكة، تعمل على «تقديم السلوك الاجتماعي الفردي المناسب والمطلوب من خلال ضغوط المساييرة كما تُكسبه «مَلَكة» اتخاذ القرار بالمساييرة أو بالمغايرة أو بالاستقلال».<sup>16</sup>

تحدد، حسب اعتقادنا، أسباب العنف اللفظي بالدوافع المرتبطة بضغوط المعيش اليومي الاجتماعي منها النفسي والسياسي، مع الإصرار على عدم اعتباره ضرباً من ضروب الانحراف القيمي أو الاجتماعي. وقد يكون من المفيد هنا أن نستنجد بمفهوم التشكّل اللغوي اقتباساً من المفهوم الماركسي التشكّل الاجتماعي الذي سعى من خلاله ماركس (Marx) الوصول إلى «تبرير أو تفسير للمزيج المحدّد لطرق الإنتاج، بعضها مسيطر وبعضها الآخر سوف يحاول مجرد البقاء على قيد الحياة من ضمن الدولة أو الأمة في لحظة معينة من التاريخ».<sup>17</sup>

أثرت، إذن، أشكال العنف المختلفة في العلاقات التفاعلية بين المشجعين داخل الفضاء الرياضي، وهو ما تؤيده مجموعات التشجيع في مجال كرة القدم. فالفضاء الاجتماعي المفتوح كفضاء ملعب كرة القدم مثلاً الذي يرتفع فيه عدد الجماهير كالملاعب الأولمبي برادس والملعب الأولمبي بالمنزه، وتتكثف فيه العلاقات الاجتماعية وتسيطر عليه الفئات المتعصبة، خاصة مع الغياب شبه التام لمختلف أشكال المراقبة والتأطير (أمنية...). فيصبح الفضاء أكثر ملائمة للتعبير عن الذاتية والبحث عن الهوية المتمردة بانتهاج أساليب وممارسات، إن دلّت على شيء، فإنها هي ترمز إلى حضور الذات من خلال السلوكيات التي تعاني القمع والرفض خارج الفضاء الرياضي. وهو ما نستجليه من خلال بعض السلوكيات الجماهيرية كالاغتهاء بالعنف اللفظي على أعوان الأمن أو أفراد منتتمين إلى مجموعات تشجيع أخرى أو ضد اللاعبين أو ضد الجمهور المنافس.

ولعلّ تواتر مظاهر العنف اللفظي في الفضاء الرياضي اكتسب دلالة سوسيولوجية من خلال ديناميكياته داخل المجتمع التونسي حتى خارج أوقات المنافسات الرياضية وفضاءاتها، حيث أصبحت الرياضة معبرة عما يعتمل المجتمع ومساهمة بصفة كبيرة في خلق نوع من التوتر الذي يهدّد القيم والمعايير الاجتماعية المتعارف عليها والمألوفة أو التعبير عنه. ولم تدّخر مجموعات التشجيع، وبدون استثناء، جهداً في استعراض قدراتها حينما تعلّق الأمر بالعنف اللفظي خاصة مع محدودية التحصيل المدرسي وسيطرة السجّل الجنسي وملفوظ الشتيمة لفئة واسعة من رواد المنعرجات «Virage»، والذين يتحكّمون في نسق الأهازيج وتوجهاتها.

<sup>16</sup> المرجع السابق، ص. 231.

<sup>17</sup> جان جاك لوسركل، المرجع السابق، ص. 398.

فهم «ملوك الحرب» و«المجموعات التي خربت الحرب» وهم الذين «لا يخشون الموت» على حدّ ما يُروّج إليه أفراد هذه المجموعات.

يعتبر هذا العنف اللفظي في واقع الأمر لغة متحرّرة من القيود على اختلاف مصادرها ومشروعيتها. لغة «صريحة ومباشرة» توجّه بصفة مباشرة للأفراد داخل الفضاء الرياضي وخارجه. فداخل الفضاء الرياضي، نلاحظ العنف اللفظي من خلال الصراع حول «الدخلة» أو الأسلوب الاستفزازي والمضايقات الذي تتبّعه جماهير الملعب، على سبيل المثال إلقاء القوارير أو الوقوف وسكب الماء على بعض الجماهير والتدافع حول المواقع الاستراتيجية. علما وأنّ العنف اللفظي داخل الفضاء الرياضي لم يكن حكرا ولا حصرا ولا موجهة لفئة دون أخرى، بل يشمل كافة الفاعلين الرياضيين من لاعبين ومسيرين وأمن وصحافة وجمهور منافس. أما خارج الفضاء الرياضي، نرصد العنف اللفظي، خاصّة، أثناء اقتناء التذاكر في الشبايك. وتفسّر الجماهير الرياضية هذا العنف بمحدودية عدد التذاكر مقابل ارتفاع عدد الجماهير، إضافة إلى ما يعتبرونه إجراءات استفزازية تصدر عن قوات الأمن خلال عملية بيع التذاكر أو سلطة الإشراف أي جامعة كرة القدم في التوزيع «غير العادل» لعدد المقاعد داخل الملعب.

لا يقتصر هذا العنف اللفظي من قبل فئات من الشباب فقط على الفضاء الرياضي ومجاله الزمني، بل تسرّب إلى داخل المعاهد وفي المقاهي والشوارع. ويعتبر الشباب هذا العنف اللفظي طريقة للتعبير عن الانتماء للنادي والولاء له. وبذلك أصبح تشكّل العنف متعلّقا بالتمثّل الاجتماعي لهؤلاء الأفراد لجماهير الفرق المنافسة وهو ما نستجليه من خلال عدة عبارات مثل «جبورة» و«نزوح» و«زناطير» و«فروخ» و«هدّارة» وغيرها، إلى جانب تمثّلات ذات بعد سوقي ولا أخلاقي، خاصة إذا ما تعلّق الأمر بإهانة وتقزيم جماهير بعض النوادي الكبرى. ولا يشترط تبادل العنف اللفظي نبرة عالية ولا عبوس الوجه ولا إشهار الأسلحة «فالعنف الكامن في الإهانة ليس راجعا إلى النبرة العالية للصوت الذي يحملها، بل إنّها مضمّنة في ممارسة راسخة في سلسلة من الألفاظ والحركات التعبيرية وسلسلة من التأثيرات والتوقعات شبه التقليدية».<sup>18</sup>

وترتفع وتيرة المبادلات اللفظية العنيفة خاصة قبيل المباريات الكبرى أو المناسبات الرياضية الهامة، من ذلك مثلا أحداث العنف التي اندلعت بين مجموعات تشجيع تنتمي لنفس الفريق بين مجموعتا Supra-Sud و Zappatista في ولاية بن عروس خلال الموسم الرياضي 2008-2009.<sup>19</sup>

<sup>18</sup> المرجع السابق، ص. 396-397.

<sup>19</sup> قام بعض أفراد Zappa بسرقة Bache مجموعة Supra Sud خلال مقابلة الترجي الرياضي التونسي وأولمبك بجاية الجزائري. فتحوّل العنف بتطور الأحداث إلى «حي الاسكان» بن عروس مكان تواجد Zappatista. وقد تخلّل هذا الصدام عنف لفظي من أجل الاستحواذ على الـ Bache. الذي يُعتبر رمز هذه المجموعة وسرقته يعني انحلال هذه المجموعة فقد تحوّل هذا العنف إلى عنف لفظي وجسدي داخل الحي». حسب رواية «باتشوكا» أحد أفراد Supra Sud المنحلّة.

### 3. العنف المادي في الفضاء الرياضي:

لا تخلو الملاعب الرياضية اليوم في أي مقابلة سواء رسمية أو ودية من مظاهر العنف المادي وذلك بدرجات متفاوتة. ويتجلى هذا العنف المادي سواء بين المشجعين المنتمين إلى مجموعات التشجيع لنفس الفريق فيما بينهم، أو ضد الأمن، أو ضد الجمهور المنافس. ومن مظاهر العنف المادي المتفشية هو التخريب والتدمير الذي يطال عادة كراسي المدرجات والأعمدة الحديدية وأحواض دورات المياه والحافلات والسيارات الخاصة وواجهات الجدران والمحلات المحاذية للملاعب، ويصل الأمر أحيانا إلى إضرام النار عمداً سواء في الملاعب أو الحافلات أو حاويات القمامة وغيرها. ويعتبر العنف المادي نتيجة حتمية لتفشي وانتشار العنف اللفظي، خاصة وأن المشاحنات والتلاسن الذي يدور بين الأفراد والمجموعات داخل جماعة الجماهير عادة ما يمرّ من طور النقاش العادي إلى النقاش الحاد وصولاً إلى التشنج والاستفزاز وينتهي إلى تبادل العنف المادي والجسدي بين هؤلاء الأفراد. ومن ذلك مثلاً ما يحصل خلال عملية بيع التذاكر من حمل للأسلحة البيضاء والغازات المُشَلَّة للحركة والعصي، وكأنها حرب مصغرة على وشك الاندلاع. ولعلّ الدافع الأساسي لتمثل فئة الشباب هذه للعنف الجسدي، أنهم يعتبرونه من أنجع وسائل الإخضاع والتخويف والسيطرة والهيمنة.

تختلف وتتعدد دوافع اللجوء إلى العنف المادي في الفضاء الرياضي من فرد لآخر، ليشمل الجماعة كلها تقريباً. ولعلّ من أبرز أسباب تفشي العنف المادي، ما أجمع حوله الجماهير الرياضية، في عدد التذاكر وكيفية الحصول عليها، والمواقع في الملعب، وإلقاء القوارير والمقذوفات والشماريخ والكلام البذيء والحركات الجسدية اللاأخلاقية، والشجار حول مكان Bache ومكان الدخلة، إلى جانب المشاكل الاجتماعية والسياسية، وفي بعض الأحيان المشاكل النفسية لبعض الأفراد التي تعود إلى التنشئة الاجتماعية، والتي تقوم على مبدأ الاعتقاد في أنّ «القوة المادية لا يمكن القضاء عليها إلا بالقوة المادية أو ممارسة العنف»<sup>20</sup>

ينتمي أغلب أفراد المجموعات المشجعة والمناصرة للجمعيات الرياضية في تونس العاصمة، على سبيل المثال، إلى أحياء شعبية أبرزها «ابن سينا» و«الجبل لحرمر» و«الزهروني» و«الشعبية» و«الكرم الغربي». وهي نفس المناطق التي انطلقت منها شعلة مجموعات التشجيع أواسط تسعينات القرن الماضي. وتجمع بين هذه المجموعات خصائص الفقر والقمع والظلم والتهميش. ومن هنا يأتي دور التنشئة الاجتماعية في تحديد العلاقات والسلوكيات بين مختلف الفاعلين داخل مجموعة التشجيع نفسها أو بين مجموعات التشجيع المختلفة سواء في نفس النادي أو في الفرق المتنافسة. فالفرد يحدّد ميولاته وأهواه من خلال احتكاكه بواقعه المعيش والجماعة التي يعايشها فكأنما العنف هنا «نشاط متعلّم».

<sup>20</sup>Semia. Chebchoub, Sur La Violence, Revue Tunisienne de Science Sociale, C.E.R.E.S, Tunis, P. 101



وبما أنّ الفاعل «مطالب بخلق تلاؤم بين تمثله لذاته ودوره الاجتماعي» حسب تعبير Goffman، فقد أصبح الملعب المتنقّس الوحيد لإخراج ما اختزنوه من علّات نفسيّة خصوصا مع غياب كافة أشكال المراقبة داخل الفضاء الرياضي الذي أصبح يمثّل الفضاء الوحيد للتعبير عن النفس بأساليب مختلفة تتسم بالفوضى والعدوانيّة متجسّدة في العنف بمختلف أشكاله. نذكر من ذلك أهم الأمثلة التي شهدتها بعض مباريات الرابطة الوطنية الأولى لكرة القدم:

- الأحداث الدامية التي دارت بين جماهير الترجي الرياضي التونسي والنجم الرياضي الساحلي بعد أحد المقابلات التي انتظمت بالملعب الأولمبي بسوسة. دخل لاعبو الترجي الرياضي التونسي والنجم الرياضي الساحلي إلى أرضيّة الملعب الأولمبي بسوسة منفصلين بجدار أمني عازل، مع حشد كبير لقوات الأمن في منحرجات الملاعب «Virage»، وتركيز تعزيزات أمنية مكثفة على حافة الملعب مع توزيع مجموعات أخرى بين دكتي الفرق المتنافسة على خط التماس. ورغم ذلك دارت أعمال عنف كبيرة بين جماهير الفرق المتنافسة وصلت إلى حدود «محطة الاستخلاص بهرقلة» واستمرت إلى أكثر من خمس ساعات بعد نهاية المقابلة، محدثة بذلك أضرار جسيمة بالممتلكات العمومية.

- أحداث «السبت الأسود» في بنزرت بعد انتهاء المقابلة الرياضيّة بين النادي الإفريقي والنادي الرياضي البنزرتي وما شهدته مدينة بنزرت من أحداث دموية وخسائر ماديّة ومعركة ضروس امتدّت إلى ساعات الصباح الأولى.

- حادثة ما يسميه جمهور الترجي الرياضي التونسي ثورة 8 أفريل 2010 في مباراة جمعت الترجي بنادي حمام الأنف. بلغت الأحداث درجة كبيرة من العنف والانفلات، مما أدّت إلى سقوط العديد من الجرحى في صفوف الجماهير والأمن إضافة إلى وفاة عوني أمن. وقد توكّد التقارير الأمنية الرسمية أنّ مثيري الشغب عادة ما يكونون من مستهلكي الكحول والمخدرات ومن ذوي السوابق العدلية، ومنهم من يكون مطلوب لدى العدالة، وهو ما قد يفسّر استعمالهم لأسماء مستعارة حماية لأنفسهم. وإذا اجتمعت، بالتالي، الكحول والمخدرات مع الاستفزازات التي تصدر عن الأمنيين مع ضغوط الحياة اليوميّة وضغط النتائج الرياضيّة، تأججت نار العنف الجسدي والمادي واللفظي بين مختلف الفاعلين الاجتماعيين في الملعب خاصة منهم المتعصبين لفرقهم الرياضية.

## الفصل الثاني:

### دوافع أعمال العنف في الفضاء الرياضي والأطراف المسؤولة:

تُرجع التقارير السنوية الرسمية لوزارة شؤون الشباب والرياضة العنف المُسلَّط في الفضاء الرياضي إلى عدّة أطراف ثبت أن لها دور مباشر في إثارة أحداث الشغب والعنف في الملاعب وهم الجمهور واللاعبون والحكّام والاداريون والمسؤولين والفنيون ورجال الأمن. ويتفق مع هذا الطرح الباحث محمد مامسر<sup>22</sup>، إذ خلص في دراسته التحليلية حول العنف الرياضي في ملاعب الوطن العربي إلى تحديد ثمانية عناصر متسببة في هذا العنف وهي التي ذكرناه آنفا زد عليها الأطباء المسعفون. وفي اعتقادنا هناك مسائل وجوانب أخرى يمكن أن تكون فاعلا أساسيا في انتشار أعمال العنف والشغب في الملاعب الرياضية، وهي خطاب الاعلام الرياضي غير المسؤول في الكثير من الأحيان، ومحدودية القوانين التأديبية الرياضية، وافتقاد المنشآت الرياضية للسلامة المطلوبة إضافة إلى محدودية أعمال الصيانة والتهيئة الدورية.

#### 1. الإعلام الرياضي والخطاب اللامسؤول:

يكتسي الإعلام الرياضي أهمية في نشر الوعي بين الجماهير واللاعبين، إلا أنه، أيضا، يلعب دورا في انتشار وتنامي ظاهرة العنف في الوسط الرياضي، باعتباره أحد أسباب التعبئة النفسية لممارسة العنف في المجال الرياضي سواء قبل أو بعد المباراة، وذلك من خلال الكتابات الصحفية أو البرامج الإذاعية والتلفزية التي تستند إلى الإثارة والتحمّس الزائد واللّعب على العواطف وبثّ العدوانيّة التي تؤسّس بدورها للتعبّص. نلاحظ أن وسائل الاعلام الرياضي لا تلتزم، في العديد من المناسبات الرياضية، بالحيادية تجاه تحليل ومعالجة الإشكالات الرياضية، ولا تتردد في بثّ ردّات الفعل المتشجّجة للاعبين والمسؤولين والمدربين اثناء وبعد المقابلة التي تساهم في تأجيج الوضع وتحريض الجماهير الرياضية.

لطالما تواصل الجدل القديم- المتجدّد حول دور وسائل الإعلام، خاصة منها الوسائل السمعية-البصريّة، في انتشار العنف بشتى أنواعه وفي شتى مجالات الحياة الاجتماعيّة. وتعدّ وسائل الإعلام الرياضي من أهمّ مسببات عنف الملاعب في تونس نظرا لما تبثّه من برامج تحليليّة يتلاقى فيها مختلف الأطراف المكونة للمشهد الرياضي المحلي من مدربين ومحللين رياضيين وقدامى اللاعبين والاختصاصيين في القانون الرياضي وصحفيين مختصين. فيطلق كلّ منهم بكل حرية ودون استشراف لما قد تؤوّل إليه تصريحاته الناريّة. ولو تمعّنا في محتوى حصص التحليل الرياضي المتلفزة

---

<sup>22</sup> محمد، مامسر (1989)، دراسة تحليلية لظاهرة عنف الملاعب الرياضية في الوطن العربي، الندوة الآسيوية السادسة للعنف الرياضي، الأردن.

والتي يتجاوز عدد ساعات بثها مدة المقابلات موضوع التحليل نفسها، نجد أنّ أنماط الخطاب التي تبثها تكاد تنحصر في:

- الخطاب الإخباري: يتمثل في سرد مجريات المقابلات وتحضيرات الفرق وأجواء المباريات الرياضية.
- خطاب الاحتفال والفرحة: يوحد جماهير مختلف الفرق الرياضية المتنافسة، ويكون حاضرا في مناسبات معدودة حينما يتعلّق الأمر بتتويج قاري أو عربي أو محلي للنخبة الرياضية الوطنية أو أحد الفرق التونسية. ومع ذلك قد يحضر خطاب النقد اللاذع وعدم الرضا على النتيجة أو سلوك اللاعبين أو سوء تنظيم المسيرين أو تقصير المدرب في الرسم التكتيكي المعتمد، وهو ما تفسّره جماهير الأندية بالتحامل على ناديهم ومحاولة التقليل من أهميّة فوزهم الرياضي، وتعتبره خطاب غير بريء يصدر عن مدربين ثبت فشلهم في التدريب وصحافيين مأجورين اشتركوا في مهمة ما يعتبرونه أو يصطلحون عليه بـ«التنبر على العباد اللي تخدم».
- العنف اللفظي أو التلويح بالعدوان: هو خطاب عادة ما يصدر عن لاعبي الفريق أو مسيريه وهم في حالة انفعال بعيد انتهاء المقابلات الرياضية من خلال التصريحات الفوريّة التي يبذلونها فيها عدم رضاهم على أداء الفريق أو بعض لاعبيه أو أداء وقرارات حكم المباراة، فتطلق التصريحات التي تتحدث عن استهداف الهياكل الرياضية للنادي وظلم رزنامة الموسم الرياضي. وهذا يعدّ من قبيل الخطاب المحرّض، في اعتقادنا، يعتبر تصرفا خطيرا لتسببه في الكثير من الأحيان في أزمات كبرى بين الفرق والجماهير الرياضية مثال أحداث محطة استخلاص هرقله بين أنصار فريقين التري الرياضي التونسي والنجم الرياضي الساحلي وأحداث مباراة الأولمبي الباجي والنادي الإفريقي التي امتدت مواجهاتها على طول الطريق الوطنية الرابطة بين باجة ومجاز الباب وغيرها.
- تلعب وسائل الإعلام الرياضي، ممّا لا شكّ فيه، دورا كبيرا في تأجيج مشاعر الغضب والظلم والقهر الرياضي الذي قد يتطوّر في بعض الأحيان إلى إثارة النعرات الجهوية وبعض مظاهر الميز العنصري. «وإذا صحّ التعريف أن الإنسان هو ابن بيئته فهو أيضا يتأثر بوسائل إعلامه وتكنولوجيات اتصاله. وقد باتت هذه الوسائل مشكلة لذهنية الإنسان ولشخصيته ومطوّعة لإرادته وقادرة على التأثير في شعوره».

نذكر من الأمثلة العديدة في الصحافة المكتوبة التي ساهمت في بثّ مشاعر الإثارة والتحمّس الزائد ولعبت على عواطف الأفراد وبث العدوانيّة وأسست للتعصب، ولو عن غير قصد، ما جاء في الصفحات الأولى لبعض الصحف التونسية «فالمنافس في صحافتنا الرياضيّة يُدعى خصما والمباراة العاديّة تصبح مباراة مصيريّة والهدف يصبح إصابة والإقصاء يصبح طردا والفوز يصبح غلبة والتصدي للكرة يصبح استماتة في الدفاع وضرب الكرة بقوة يصبح قذيفة مدفعيةّ ساحقة وهدف الانتصار يصبح ضربة قاضية ومباراة الإياب تصبح مباراة الأخذ بالثأر ومباراة الأجوار تصبح مباراة الإخوة الأعداء. إضافة إلى بعض العناوين التي تحمل عبارات عنيفة صريحة من قبيل «فريق كذا يسحق الفريق الفلاني» و «القوة الضاربة للفريق» و «هدف قاتل» و «روح قتاليّة» و «مناطق خطر» و «نجوم كاسح»... وهو ما شأنه شحن الجمهور الرياضي المتابع للبطولات المحليّة نحو الاندفاع الزائد والتعصب بما قد ينتج عنه عنف، قد يكون أحيانا مدمرا، داخل الفضاء الرياضي أو خارجه. ونصّ المرصد الوطني للشباب في دراسة له حول «الظواهر السلوكيّة الجديدة لدى الشباب التونسي»<sup>24</sup> وجود أسباب أخرى تتعلق بفتور مشاركة الأسرة والمدرسة والنسيج الجمعياتي ووسائل الإعلام في بلورة مفهوم الروح الرياضيّة.

## 2. اللاعبون والمدربون والمسؤولون وسيطرة الرغبة المفترطة في الفوز:

يعتبر اللاعبون من الأطراف الرئيسيّة المتسببة في أحداث العنف والشغب في الفضاء الرياضي، وذلك من خلال سلوكياتهم من تصرفات غير لائقة داخل الملعب وردّات الفعل المتشنجة تجاه الحكام. إذ كثيرا ما أصبح اللاعبون يرغبون في الفوز بكل الطرق والوسائل، ولا يبحثون، من خلال الفوز، إلا على الاحتراف والحوافز. ويؤكّد المرصد الوطني للشباب في دراسة له حول «الظواهر السلوكيّة الجديدة لدى الشباب التونسي» التي سبق ذكرها أنّ ظاهرة العنف الصادرة عن اللاعبين تعود حتما إلى رغبتهم في الوصول إلى النجومية وحب الكسب المادي، وهو ما يفسّر كثرة ما تشهده المقابلات الرياضية من هجوم من قبل اللاعبين على قرارات الحكم غير متحلين بالروح الرياضية، ممّا يشجع ويساهم، بدوره، في انفعال المدربين والمسؤولين واعتراضهم المتكرر على قرارات الحكام، والانخراط هم كذلك في سلوكيات لا تنم عن تحليهم بالروح الرياضية وتقبّل الهزيمة، وتدفع بهم إلى تحريض الجماهير، والتشكيك في نزاهة الحكام وارتكاب العنف بكلّ أنواعه مقتنعين بأنها ردة فعل عادية ومنطقية إزاء ما يسمونه «ظلم مسلط ومؤامرة مدبّرة من حكم المقابلة» باحثين عن كبش فداء لتغطية إخفاقهم وفشلهم، خاصة في ظل عدم إلمام العديد من المدربين والمسؤولين بالقوانين التأديبية. ويتفق مع هذا التفسير المرصد الوطني للشباب في إذ يؤكد أن العديد من المسؤولين يجرون وراء الانتصارات والألقاب والنتائج الفوريّة، غير عابئين بمنطق الرياضة منافسة نزيهة تخضع إلى قوانين يتعيّن على الجميع احترامها.

<sup>24</sup> المرصد الوطني للشباب (2006)، الظواهر السلوكيّة الجديدة لدى الشباب: من التشخيص إلى استشراف آليات الوقاية، المطبعة الرسميّة للجمهورية التونسية، تونس، ص. 39-40.

### 3. الحُكَّام والأخطاء التحكيمية:

يعدُّ الحكام هم أيضا سببا رئيسيا في اندلاع أعمال العنف في الفضاء الرياضي. إذ نجد العديد من الحكام في مقابلات مصيرية يتخذون قرارات متعسّفة وخاطئة لعدم التحلي البعض منهم بالكفاءة التحكيمية المطلوبة، مما يشكل أحد أسباب تدني المستوى الفني للاعبين، أو قد يصيب الفرق الرياضية المتنافسة بظلم جراء قرار من الحكم مما يثير حفيظة اللاعبين وبالتالي الجماهير.

### 4. الجماهير الرياضية والتعصّب للفرق:

نعني بالتعصّب «ما نجده لدى مناصري الفرق.. خصوصا الفرق التي يعتقد أنها صاحب البطولات، وهو ما يوُلد لديهم القناعة بصعوبة انهزامها وعدم تقبّلهم للهزيمة، الأمر الذي يدفعهم للقيام بأعمال العنف كردّة فعل على الهزيمة أو «غلوّ في التعلّق بشخص أو فكرة أو مبدأ أو عقيدة بحيث لا يدع مكانا للتسامح، وقد يؤدي إلى العنف والاستماتة».<sup>25</sup> ويشير الملاحظين والدارسين للمشهد الرياضي إلى أن عنف الجماهير في الفضاء الرياضي عادة ما يتطوّر بصفة تدريجيّة، إذ ينطلق من الفرد ليشمل فيما بعد المجموعة بأكملها. فبينما يساهم الحشد من جهته في الاندفاع، يتكفّل الانفعال في بلوغ أقصى درجات العنف. وقد تتحد ظاهرة «عنف الفضاء الرياضي» مع ما اصطلح عليه بـ«عنف الشباب» خارج الفضاء الرياضي كردة فعل عن عنف مؤسسة الدولة في شكل شعارات وأهازيج حاملة لمضامين سياسيّة أو اجتماعيّة أو دينيّة. وتعتبر فئة الشباب الفئة الأكثر ممارسة للرياضة في المجتمع بصفة عامة وكرة القدم بصفة خاصة. فالذين يمارسون الرياضة هم شباب، والمشجعون هم أيضا في الغالب شباب، وهذا يدل على الصفات الاجتماعية والشخصية التي تتميز بها مرحلة الشباب مثل حب الظهور والشجاعة والقوة والحماسة والبحث عن الاستقلالية والرجولة وغيرها من الصفات التي لها دور في توجيه سلوكيات الفرد وتصرفاته وفي تحديد اتجاهه. وإذا ربطنا بين العنف والشباب، فإنه حتما سيؤدي بنا الإقرار بأن العنف، إذا ما اعتقدنا بأنه ينطلق من آراء الفاعلين وتصورهم لأدوارهم وليس من فراغ، يمكن أن يكون وسيلة لدى الشباب لتحقيق حاجياته ورغباته النفسية والاجتماعية. ويؤكّد المرصد الوطني للشباب، من جهة أخرى، في الدراسة السابقة الذكر أنّ ظاهرة العنف الصادر عن الجمهور يمكن أن يعود إلى النزعة الجهويّة لدى هذا الجمهور.

<sup>25</sup> أحمد زكي، بدوي (1978)، معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية، مكتبة لبنان، بيروت، ص.184.

وفيما يلي النظريات المفسرة للعنف الصادر عن هذه الفئة المجتمعية داخل الفضاء الرياضي:

### أ. نظرية التعلّم الاجتماعي:

ترى نظرية التعلّم الاجتماعي أن التقليد هو السبب الرئيسي المؤدي لانتشار العنف داخل الفضاء الرياضي، باعتبار أن العنف والعدوان ظاهرة مكتسبة عن طريق الملاحظة والمحاكاة، يتعلمها الأفراد كما يتعلمون أي نوع من أنواع السلوكيات الأخرى. وترى هذه النظرية أن العصبية والجهوية والقبلية كلها عوامل ناتجة عن التنشئة الاجتماعية والتربية، وهي التي تدفع الشباب إلى مناصرة فريق ما بحماسة شديدة ومفرطة.

### ب. المدرسة الاجتماعية في تفسير السلوك الاجتماعي عند G. Tarde 1901

تؤدي ظاهرة شغب الملاعب، حسب «G. Tarde» إلى ارتكاب الكثير من الجرائم. إذ يرى أن التقليد ينتقل من الأعلى إلى الأسفل، أي من الطبقات العليا إلى الطبقات الدنيا، ويحدث أيضاً بتأثير العادة والذاكرة والاختلاط، وكذلك عن طريق الزحام الفضولي أو الفرجة أو التجمهر (Crowded). فمثلاً لو حدث انفعال في التجمهر، سوف ينتقل الانفعال إلى بقية المتجمهرين أو إلى صفوف الحاضرين، فيصبح الانفعال، بفعل التقليد، جماعي وليس فردي، ويصبح كذلك السلوك جماعي. ولا يتحوّل هذا السلوك الجماعي إلى جريمة، إلا إذا توفرت شروط اجتماعية معينة تؤدي إلى نتائج سلوكية معينة منها الجريمة. ويضيف «G. Tarde» أن نفس الظروف والشروط تؤدي حتماً إلى نفس النتائج، ولو كانت بمقادير مختلفة من فرد إلى فرد. أي أن درجة الاستجابة للشروط والظروف المؤدية للجريمة في الفضاء الرياضي تختلف من فرد إلى آخر، بحيث تكون عند بعض الأفراد أكبر من البعض الآخر، إذ يكفي البعض بالعنف اللفظي، بينما يتعدى البعض الآخر إلى العنف الرمزي والجسدي كالتخريب والاعتداء على الممتلكات العامة والخاصة.

### ت. التفسير الموقفى عند إدوين ساذرلاند (1950):

يعتبر ساذرلاند أن الموقف، لحظة حدوث الجريمة أو السلوك الانحرافي، نقطة أساسية في تفسير هذا السلوك. فالموقف، بالنسبة له، يُعدّ الظروف المواتية للعمل الإجرامي، وهو ما سماه «التفسير الميكانيكي» أو «الموقف الديناميكي» أو «التفسير الموقفى». يعني أن الجريمة لا توجد إلا بوجود فرصة مواتية لارتكاب الفعل الإجرامي، أي أن التفكير في الجريمة يحدث في نفس لحظة توفر الظروف المناسبة لذلك. ويذهب الكثير من الباحثين إلى التركيز، فقط، على جزئية ما يسمى بـ«المخالطة الفارقة» أي تأثير «الزمرة» أو رفاق السوء، ويعتبرونها من الفرضيات الأساسية لتفسير السلوك العنيف أو الجريمة.

إذ حاولنا إسقاط «التفسير الموقفي» للعنف الممارس داخل أو خارج الفضاء الرياضي، فإننا سنلاحظ أن العنف ينطلق من زمرة أو مجموعة صغيرة من الرفاق، ثم ينتشر في جميع أرجاء الملعب وخارجه. فالموقف المناسب للجريمة يحدد من طرف الشخص صاحب الفعل الإجرامي. وهذا الموقف في حد ذاته يتحدد تبعاً للشخصية والتجارب الفردية والتنشئة الاجتماعية لصاحب الفعل الإجرامي. وبالتالي يشكّل الموقف في مجموعته العلاقة التفاعلية بالمفهوم الاجتماعي والسلوكي بين الفرد المجرم أو صاحب السلوك الإجرامي والفعل الإجرامي في حد ذاته. ويتفق مع هذا الطرح الباحث يحيى النقيب<sup>26</sup>، مضيفاً أن دوافع عنف الجماهير الرياضية، في الحقيقة، لا تنبعث في الملعب، بل هي نابعة من الحياة اليومية التي يعيشها الأفراد، وربما تكون وليدة رد فعل تعويضي إزاء انتقاص وضعهم كشباب أو كفئة اجتماعية، ويكاد يؤكّد أن هذه الجماعات لا تنساق إلى دوافع سياسية. إذ يعتقد أن ظاهرة العنف الرياضي قد تكون نتيجة ثلاث أشياء وهي الصعوبات الاقتصادية التي يعاني منها غالبية الجماهير الرياضية، وظاهرة الارتباط العاطفي بين اللاعبين والجماهير، وزيادة عدد المباريات بشكل ملحوظ أي كثرة برمجة المقابلات بصفة تكاد تكون يومية.

يذكر الباحث محمد فتحي عيد أن «التعصّب الأعمى آفة الرياضة في جميع أنحاء العالم وهذا التعصّب يُعمي العين فلا ترى من فريقها الذي تشجعه أو من نجمها الذي نجهه إلا كل ما هو جميل بينما لا ترى في الفريق المنافس أو النجم الآخر إلا كل ما هو قبيح ومستهجن، ويبدأ الشغب عندما تميل الكفة لصالح الفريق المنافس وقد يكون لرجال الصحافة والإعلام دور في إثارة هذه النعرة لدى الجماهير باستخدام العناوين المثيرة والتشكيك في نزاهة الحكام أو أخلاقيات الجمهور المشجع للفريق المنافس.. والتصرفات المستفزة قد تأتي من جانب الحكام أو من جانب اللاعبين أو من جانب الإداريين أو حتى من جانب فرد من أفراد الجمهور أو فرد من أفراد قوات الأمن.»<sup>27</sup> ويضيف عيد أن الشغب عادة ما يكون «وليد اللحظة» ولكنه أيضاً يمكن أن يكون «مدبراً» عندما يتفق مجموعة من المتعصبين على إثارة الشغب والعنف في المدرج في حال سارت المباراة على غير هواهم. ويتم ذلك، حسب عيد، من خلال «استخدام أشخاص لديهم القدرة على الاقناع والمهارة في تحويل جمهور المشاهدين من السلوك السوي إلى السلوك المنحرف ولديهم القدرة على استغلال ما يحدث في الملعب من تصرفات لإثارة الشغب حتى لو وصل الأمر لاختلاق وقائع لا أساس لها من الصحة، كما يندس البعض منهم وسط مُشجعي الفريق الآخر ثم يلقي بحجر تجاه الفريق الذي يشجعه فتحدث الفتنة ويقع الشغب.»<sup>28</sup>

<sup>26</sup> يحيى، النقيب (1990)، علم النفس الرياضي، الرئاسة العامة لرعاية الشباب، الرياض- السعودية.

<sup>27</sup> فتحي، عيد (2008)، أمن المنشآت الرياضية، الدورة التدريبية التنظيم والإدارة الرياضية خلال الفترة من 10 إلى 14 نوفمبر 2008، جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية، الرياض-السعودية، ص. 7.

<sup>28</sup> المرجع السابق، ص. 7.

والخطير في عنف الجماهير، حسب الباحث عيد، هو استغلال عناصر أو جماعات إرهابية المقابلات الرياضية التي تستقطب جماهير عريضة «للقيام بالأعمال الإرهابية كالاغتيال على الأشخاص أو أحداث حريق لبث الرعب والفرع وإظهار الدولة في مظهر الضعيف». كما يمكن أن ينتهز بعض المجرمين فرصة تجمع الحشود للقيام بأنشطتهم غير الشرعية مثل الاتجار بالمخدرات، أو عقد الصفقات الاجرامية، أو ترويج العملات المزيفة. كما قد يواكب المباريات طبع تذاكر دخول مزورة وترويجها، أو توزيع منشورات للفتنة أو للتحريض سياسيا مثل الانقلاب على النظام.

وقد أجمعت العديد من البحوث<sup>29</sup> والدراسات<sup>30</sup> والمتابعات للمواعيد الرياضية، أن أشكال العنف الممارس من قبل مشجعي الجمعيات الرياضية سواء داخل أو خارج الملعب الرياضي يمكن تلخيصها في النقاط التالية:

- التشجيع غير الملتزم أو الفوضوي والذي يحمل في طياته كلاماً أو أصواتاً غير لائقة.
- شتم الحكام والقدرح بقدراتهم وانحيازهم لأحد المتنافسين.
- شتم وسب جمهور ولاعبي الفريق المنافس بعبارات منافية للأخلاق.
- رشق اللاعبين والجمهور المنافس بمختلف أنواع المقذوفات بقصد الاستفزاز والإثارة.
- قذف المواد المشتعلة أو المواد الصلبة باتجاه الملعب.
- إشعال الحرائق على المدرجات.
- محاولة الوصول إلى الملعب وتخطي الحواجز للتدخل بسير المباراة.
- إحداث الفوضى بصورة ملفتة على المدرجات لجلب الانتباه والتأثير على سير المباراة.
- الاعتداء على اللاعبين بعد المباراة سواء كانوا لاعبيهم، بسبب الخسارة، أو لاعبي الفريق الآخر.
- نقل الفوضى خارج الملعب والاعتداء على الممتلكات والسيارات وأحيانا على رجال الأمن.
- إطلاق منبهات السيارات والسير بسرعة طائشة في الشوارع بعد المباراة.
- ردود الفعل المثيرة للفوضى تحت أي غطاء مُفتعل، بما في ذلك نتيجة المباراة.
- قيام بعض أفراد الجمهور بإطلاق العيارات النارية إما ابتهاجا في الفوز أو القصد إثارة أعمال الشغب الرياضي داخل أو خارج فضاء الملعب ولأي سبب تراه هذه الفئة.

<sup>29</sup> إيناس، محمد عليمات (2011)، التجربة الأوروبية في الحد من شغب الملاعب الرياضية، بحث ماجستير، الجامعة الهاشمية، الأردن.

<sup>30</sup> إبراهيم حمداوي (د.ت)، العنف في الملاعب الرياضية: حجم المشكلة وامكانيات الحلول ودور وسائل الاعلام ودورها في الحد من تفشي الظاهرة، المغرب.



وتجدر الملاحظة، أن عنف الجماهير الرياضية كان يُعرف عادة بين جمهور فريقين متنافسين، إلا أن هذا العنف شهد تطورا وتغيرا في الآونة الأخيرة، فهو يقع بين أنصار نفس الجمعية الرياضية ذاتها، باعتبار أن جمهور الفريق قد انقسم وتشكل في مظهر جديد وهو «المجموعات». ويتجلى العنف بين هذه المجموعات عامة في الصراع حول إما المكان أو اللافتات أو الشعارات، وهو ما سنتناوله بالدرس والتحليل بأكثر تفصيل في العناصر اللاحقة.

## 5. أعضاء مكاتب الجامعات الرياضية والمصالح الشخصية:

لا يتخذ أعضاء مكاتب الجامعات الرياضية، في الكثير من الأحيان، مواقف حازمة أمام أعمال الشغب والعنف التي تحدث في المقابلات الرياضية خاصة الصادرة عن المسيرين، ويُميّعون القضايا المهمة ويتجاهلون الأنظمة واللوائح تقريبا لإرضاء رؤساء الجمعيات باعتبارهم مصدر شرعيتهم، وهو ما يسقط الكثير من المكاتب الجامعية في تسيير الجامعة حسب مصالح البعض على حساب البعض الآخر، إلى جانب غياب متطلبات التنظيم المحكم للعديد من المباريات المصيرية في بعض الفئات الرياضية، وغياب التنسيق المحكم، أحيانا، بين كل الأطراف المعنية بمقاومة العنف داخل الفئات الرياضية. يشير الباحث محمد فتحي عيد من ناحية أخرى إلى أن «الاحتراف وانتقال المحترفين من ناد إلى آخر داخل الدولة أو خارجها قد يكون مصحوبا بالفساد الذي يُؤثر سلبا على الروح الرياضية. وقد كشفت الحوادث عن تورط أعضاء بعض الاتحادات واللجان الأولمبية الدولية والإقليمية والوطنية في عمليات فساد أثناء القيام بعملية تحديد برامج المسابقات الرياضية أو اختيار المدن التي تستقطبها، الأمر الذي قد يؤدي إلى حدوث شغب في الملاعب.» كما يشير عيد إلى تفشي ظاهرة الرشوة من أجل «منح ميزة للاعب أو لفريق» وهو اخلال بالأحكام المنظمة للمنافسات الرياضية مما يترتب عنه ارتكاب عنف، وإمكانية ارتكاب جرائم تستهدف اللاعبين أو الإداريين.

## 6. رجال الأمن والأطباء المسعفون:

يتسبب كل من رجال الأمن والأطباء المسعفون في أعمال العنف التي تحدث في الفناء الرياضي، وذلك من خلال سلوكهم المتمثل في التشدد الزائد في معالجة المخالفات والأخطاء التي تصدر عن الجماهير الرياضية وإهانة الآخرين، ومن خلال مبالغة الأطباء المسعفون في تشخيص إصابة اللاعب وتهويل الأمر، مما يثير حفيظة الجماهير خاصة.

أنجزت دراسة أكاديمية<sup>31</sup> في مجال التسيير الرياضي سنة 2015، وبحثت في ظاهرة العنف المُمارس في الملاعب الرياضية التونسية. وقد استعرضت هذه الدراسة جملة من الأسباب التي ترى أنها تؤدي إلى العنف في الملاعب الرياضية. وقد طُلب من فئات عينة البحث، وهم الاداريون والفنيون والحكام ورجال الأمن والإعلاميين والمشجعين، تصنيف، كل من وجهة نظره، الأسباب المُقترحة حسب الأهمية. فكانت النتائج أن أغلب الإداريين يعتقدون أن انعدام الروح الرياضية والجمهور واللاعبين هم السبب الرئيسي لأحداث العنف التي نراها في الملاعب الرياضية التونسية، ويأتي الحكام في المرتبة الثانية والصحافيين والقوانين الرياضية في المرتبة الثالثة. بينما صرّح أغلب الفنيين بأنّ الجمهور فقط هو المتسبب الرئيسي في عنف الملاعب، تليه في المرتبة الثانية نتيجة المقابلة وانعدام الروح الرياضية، وبدرجة أقل المسيرين والحكام. ويشير أغلب الفنيين أن دور الصحافة والمنشأة الرياضية في اندلاع أحداث العنف الرياضي هو دور ضعيف جدا مقارنة بالأطراف المذكورة آنفا. يُجمع الحكام، بنسبة مطلقة، على أنّ السبب الرئيسي في ارتفاع منسوب العنف في الفضاء الرياضي هو انعدام الروح الرياضية، يليه في الترتيب الجمهور، ثم نتيجة المقابلة. ويعتبر الحكام أن رجال الأمن والقوانين ليس لهم تأثير كبير في أعمال العنف المنتشرة بالفضاء الرياضي، بينما المنشأة الرياضية لها تأثير ملحوظ. ويرجع أغلبية رجال الأمن السبب الرئيسي لمظاهر العنف إلى الجمهور بدرجة كبيرة، وبدرجة أقل انعدام الروح الرياضية ونتيجة المقابلة. ويعتبر رجال الأمن أن الصحافة لها دور في وقوع أحداث العنف في الملاعب الرياضية حتى وإن كان ضعيف أو محدود. والجدير بالملاحظة أن نسبة من رجال الأمن، حتى وإن كانت ضعيفة، لا يستبعدون أنفسهم كسبب من الأسباب المؤدية إلى أحداث العنف في الفضاء الرياضي. ويرى الإعلاميين أن السبب الرئيسي للعنف في الملاعب الرياضية يعود أولا وبنسبة كبيرة جدا إلى انعدام الروح الرياضية، وثانيا إلى الجمهور والمسيرين واللاعبين والحكام، وثالثا إلى القوانين ونتيجة المقابلة، ورابعا إلى الصحافيين ورجال الأمن والمنشأة الرياضية. ويرى أغلبية المشجعين أن العامل المؤدي إلى وجود أحداث عنف في الملاعب الرياضية هو بدرجة أولى انعدام الروح الرياضية، وبدرجة أقل هم أنفسهم، ثم يأتي الحكام ونتيجة المقابلة واللاعبين، والمفاجئ تصنيفهم رجال الأمن والقوانين في المرتبة الأخيرة وبنسبة ضعيفة كسبب في أحداث العنف في الفضاء الرياضي.

نستطيع القول أنّ أهمّ سبب في أحداث العنف في الفضاء الرياضي حسب الإداريين والحكام والإعلاميين والمشجعين هو انعدام الروح الرياضية. بينما اختار الفنيون ورجال الأمن الجمهور كسبب رئيسي للعنف الرياضي، ربما لأنّ الفنيين يسعون دائما إلى إيجاد تبرير لتدخلاتهم الانفعالية واحتجاج اللاعبين على قرارات الحكام التي لا تخدم مصالحهم، معتبرين هذه القرارات ظلما ومؤامرة. أما اختيار رجال الأمن للجمهور فمردّه، ربّما، لأنه منافسهم الأهمّ في الفضاء الرياضي. ووجود رجال الأمن في الفضاء الرياضي ما هو إلا وجود، بدرجة تكاد تكون قطعية، لمراقبة هذا الجمهور قبل وأثناء وبعد المباراة.

<sup>31</sup>حاتم، العوني (2015)، العنف بالملاعب الرياضية، بحث ماجستير في التسيير الرياضي، المعهد العالي للرياضة والتربية البدنية بالكاف.

## 7. التعاطي القانوني مع العنف الرياضي: تشريعات بين الحدود والجدوى

نتبين، بالعودة إلى الجانب القانوني والتشريعي خاصة الفصل 54 من القانون عدد 104 لسنة 1994، أن تعامل السلطة التنفيذية مع أحداث العنف والمشاعبين في الفضاء الرياضي قد ساهم في تكريس هذه الظاهرة وتطورها. فالقانون التونسي ظلّ أعرج فيما تعلّق بعنف الملاعب.

- أولاً: لأنه يحصر الفعل العنيف في السلوك الجسدي والمتمثل في الضرب والاعتداء المادي وبالتالي تم إقصاء أشكال أخرى للعنف كالعنف اللفظي والعنف الرمزي.

- ثانياً: من خلال غياب إجراءات وقائية كما هو جار به المفعول في مختلف النصوص القانونية الأخرى.

- ثالثاً: لتبعية نص القانون المذكور آنفاً ومحدودية إثبات بعض «الجرائم» من قبيل ترديد شعارات منافية للأخلاق.

إلا أن هذا لم يمنع السلطة التنفيذية من إتباع بعض الإجراءات الوقائية، على محدودية نجاعتها، في سبيل تطويق ظاهرة العنف في الملاعب لعل أهمها:

• الاحتفاظ بالمشجعين المشاعبين أثناء المقابلات الرياضية.

• إجبارية حضور عدد من المشاعبين إلى مركز الأمن القريب من محلّ سكناه قبل وأثناء وبعد انتهاء المباريات الرياضية.

• تصوير وتوثيق حالات العنف المادي والمواجهات العنيفة بين الجماهير قصد التعرف على «المجرمين».

إلا أن هذا لا يغطي قصور الفصل 54 من القانون عدد 104 من المجلة الجزائية، الذي ينص عن المنع من المنشآت الرياضية لمدة تتراوح بين عام وخمسة سنوات، خاصة على مستوى التطبيق. ومن جهة أخرى تلعب التصرفات الاستفزازية خاصة عملية التفتيش المهينة عند بوابة الملاعب دوراً في تنمية حالة الغضب الداخلي وتنمية شعور الكره والرغبة في رد الفعل لدى رواد المدرج. فمن خلال ملاحظتنا لإجراءات الدخول إلى الملعب لاحظنا منع الأحياء من جلب قوارير المياه والمشروبات الغازية وعلب الكبريت. ومنع إدخال مستلزمات التشجيع من طبول ورايات وشماريخ. وهو ما يسبب حالة استياء وتوتر في صفوف مجموعات التشجيع ومجموعات الأنصار خاصة المتعصبين منهم.

## 8. المنشآت الرياضية: غياب السلامة ومحدودية التهيئة والصيانة

تعني المنشأة الرياضية كل العقارات، من أراض وبناء، سواء كانت مخصصة طوال الوقت أو لبعض الوقت لتسيير أمور الحركة الرياضية، ولذلك فهي تتسع لتشمل الملاعب الرياضية المغلقة والمفتوحة ومضمارات السباق داخل المقارنات الرياضية أو خارجها والملاعب والمساح وسائر الأبنية اللازمة لممارسة وخدمة الأنشطة الرياضية من نواد رياضية وقرى رياضية أولمبية ومعسكرات تدريب ومقار للاتحادات الرياضية واللجان الأولمبية والساحات الشعبية والمراكز الخدمية الطبية والاعلامية الملحقه بها.»<sup>32</sup>

تشير الدراسات إلى وجود مؤشرين لتحديد مدى أهمية المنشأة الرياضية وما تتطلبه من إجراءات حماية أمنية، هما إما عند استقبالها لشخصية أو شخصيات هامة إما للزيارة أو لممارسة الرياضة أو مشاهدة مقابلة، أو عندما تضم المنشأة جمهور كبير متنوع من حيث الجنس والفئات العمرية والميولات والمعتقدات وأحيانا الجنسيات، وفيما عدى ذلك فإن المنشأة الرياضية لا تتطلب حمايتها غير إجراءات أمن عادية. ويؤكد الباحث أن الملاعب التي يحتشد فيها جمهور غفير عادة ما تكون «بيئة صالحة لارتكاب شتى الجرائم وتتنامى فيها الانفعالات والمشاعر التي تبارك فريقا وتلعن فريقا آخر، وقد تخرج هذه الانفعالات والمشاعر عن الصدور في صورة صيحات إعجاب أو غضب، وقد تتطور إلى تشابك بالأيدي أو تضارب بالعصي أو المدي أو الحجارة أو أي أداة في متناول اليد، ويتحوّل الملعب من مكان للاستمتاع والتقارب إلى مسرح للألفاظ الجارحة والإشارات البذيئة تتطاير فيه الحجارة تجاه اللاعبين أو الحكام أو الإداريين أو تجاه مشجعي الفريق الآخر، ويحدث هذا عادة أمام كاميرات التلفزيون ومصورى الصحف وتنقل وسائل الاعلام صورة الحدث الهمجي الذي يسيء إلى الوطن وإلى المواطنين كل ذلك بالإضافة إلى العديد من الجرائم العمدية والجرائم غير العمدية التي يمكن أن تقع وسط هذه التجمعات.»<sup>33</sup>

ومن الأشياء المؤثرة على سلامة المنشأة الرياضية بصفة مباشرة هي الأشياء الناجمة عن إهمال القيام بعمليات الصيانة بصفة دورية من قبل الفنيين، وإيعاز بعض أعمال الصيانة إلى عملة غير مختصين. ويؤكد هذا الواقع التقرير السنوي لوزارة شؤون الشباب والرياضة لسنة 2013،

<sup>32</sup> فتحي، عيد، المرجع السابق، ص. 3.

<sup>33</sup> المرجع السابق، ص. 4.

حيث جاء فيه ما يلي:

«تعاني أغلب المنشآت الرياضية بمختلف جهات الجمهورية، خاصة الملاعب الرياضية، من غياب الصيانة والتعهد اللازمين، ممّا جعلها في حالة متردية وغير صالحة للإستغلال في أكثر الأحيان سواء على مستوى أرضية الملعب أو حجرات الملابس أو المدرج أو السور الداخلي والخارجي، ويرجع ذلك إلى عجز البلديات على توفير الموارد المالية والأعوان المختصة للقيام بهذه الأعمال.»<sup>34</sup>

هناك أنماط تصنّف في خانة الإهمال وغياب السلامة في المنشأة الرياضية هي بيع تذاكر الدخول للمباريات أكثر من قدرة استيعاب المنشأة أو توزيع مفرط لدعوات الحضور المجانية، ممّا يضعف، بصفة تدريجية، من قدرة المدرج على التحمّل. ويمثّل عدد أبواب الدخول والخروج المخصصة للجماهير في المنشأة الرياضية نقطة هامة لضمان سرعة وسلامة دخول وخروج الجماهير، إلا أن العديد من الملاعب الرياضية تفتقد للعدد الكافي أو الاقتصار على عدد محددة مما يجعل الجماهير تدخل وتخرج في ازدحام كبير يصعب السيطرة عليه ويمكن أن يسبب في أعمال عنف. تؤكد دراسة علمية حول العنف في الملاعب التونسية<sup>35</sup> أن الفترات التي يتوتر فيها المشجع مما ينتج عنه حصول أعمال عنف هي أثناء المقابلة تليها فترة ما بعد المقابلة بنسبة أقل، ثم عند الدخول أو الخروج من الملعب، في حين تبقى فترة ما بين الشوطين وفي الطريق إلى الملعب الأقل توترا للمشجّع. لمعرفة الأماكن التي يكون العنف فيها أكثر خطرا، تذكر الدراسة أن المدرج تحتل أعلى نسبة يليها داخل الملعب ثم خارج الملعب. وتستننتج الدراسة، من خلال نتائجها الميدانية، أن أكبر نسب لإمكانية حدوث أعمال عنف تكون في المنشآت الرياضية، وتحديدًا في المدرج وداخل الملعب وخارجه. وهذا يؤكّد دور المنشآت الرياضية في حدوث أعمال العنف أو الحد منها. وذلك يكون ممكنا عندما يتم الاخذ بعين الاعتبار لمقاييس الأمن والسلامة، والعمل باللوائح للإتحاد الدولي لكرة القدم (FIFA). حيث أن أغلب التعليمات متعلقة بأهمية الترتيب والإجراءات والاحتياطات المتخذة عند تركيز الجماهير بالمدرج من ترقية للمقاعد، واستعمال كاميرات مراقبة، والفصل بين الجماهير، واعتماد بطاقات الاشتراك السنوية للمشجعين، كل هذا من أجل مزيد الإحاطة بالجوانب السلامة والأمنية للمتفرجين والحفاظ على الممتلكات الخاصة والعامة. وهو ما يتوقّر، بالصفة المطلوبة، في منشآتنا الرياضية، وفي مقدمتها ملاعب كرة القدم على وجه الخصوص التي تشهد أكبر نسب العنف وأشكاله.

<sup>34</sup> التقرير السنوي لوزارة شؤون الشباب والرياضة لسنة 2013.

<sup>35</sup> حاتم العوني، المرجع السابق.

## الفصل الثالث:

### مظاهر العنف والشغب في الرياضة التونسية: كرة القدم أمودجا:

اعتمدنا لدراسة هذه الظاهرة في الفضاء الرياضي على ملاحظة، خلال المقابلات الرياضية، تفاعلات الجمهور في المدرج في مختلف المواقف (الربح، الخسارة، التتويج، المقابلات الدوليّة، المقابلات الوديّة، المقابلات ذات الرهان، المواجهات المباشرة مع الفرق المنافسة التقليديّة، مقابلات الجوار بما يُسمّى «الدربي»...). كما قمنا بتوظيف بعض تقارير وزارة شؤون الشباب والرياضة والمرصد الوطني للشباب وبعض التقارير والندوات الصحفية لممثلي الهياكل الرياضيّة والفرق المتنافسة في الرابطة المحترفة الأولى لكرة القدم. ومن هنا، استنتجنا أن ظاهرة العنف في الفضاء الرياضي هي جامعة وشاملة لكل الملاعب والاختصاصات والأصناف والفرق الرياضيّة. وهنا، «تؤكد منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلوم والثقافة، أنه على الرغم من انتشار ظاهرة العنف بين مشجعي كرة القدم، فإنّ الأغلبية من الجماهير تبقى مسالمة وبعيدة عن العنف. رغم خطورة ظاهرة العنف في الفضاء الرياضي وتطورها من موسم إلى آخر، خاصة بعد الثورة التونسية، إلا أنّ ظاهرة عنف الملاعب في تونس تبقى أقل حدة ممّا تشهده الملاعب العالمية (ملاعب أمريكا الجنوبيّة وأوروبا الشرقيّة والمملكة المتحدة البريطانيّة) والعربيّة (مصر والجزائر خاصة). وفيما يلي جدول لعدد المقابلات الرياضية التي دارت خلال موسمي 2014 و2015 في مختلف الرياضات الجماعية، والتي يبرز من خلالها حجم نسبة مقابلات كرة القدم الذي يحتل الصدارة مقارنة بباقي الرياضات الجماعية بنسبة لا تقل عن 40 بالمائة من مجموع المقابلات، وهو ما يوضّحه الجدول التالي:

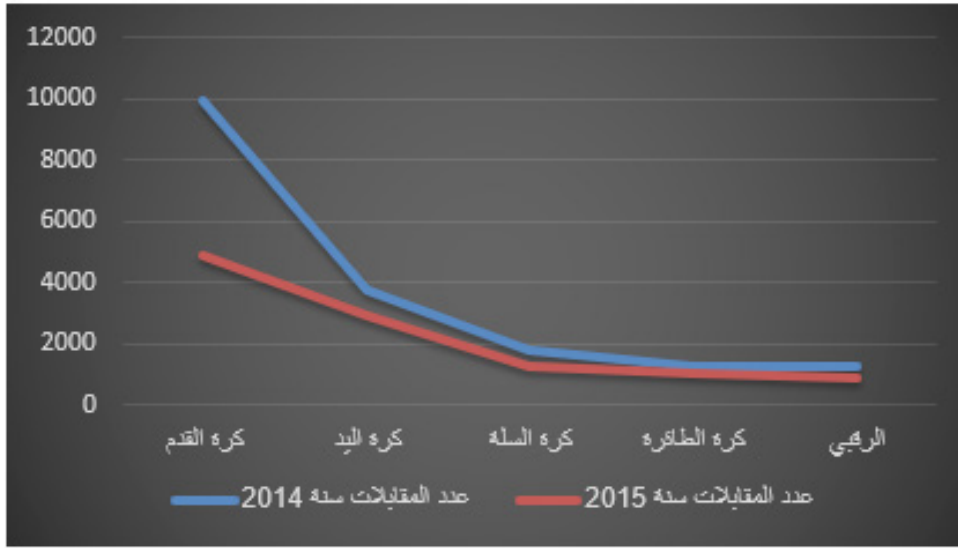
الرياضة	عدد المقابلات سنة 2014	النسبة (%)	عدد المقابلات سنة 2015	النسبة (%)
كرة القدم	9960	55	4915	40
كرة اليد	3796	21	2941	26
كرة السلة	1800	10	1274	12
كرة الطائرة	1310	8	1021	10
الرقبي	1270	7	875	8
المجموع	18136	100%	11026	100%

جدول عدد 1: عدد المقابلات المنظمة في الرياضات الجماعية خلال سنتي 2014 و2015.<sup>36</sup>

<sup>34</sup> التقرير السنوي لوزارة شؤون الشباب والرياضة لسنة 2013.

<sup>35</sup> حاتم العوني، المرجع السابق.

وفيما يلي رسم بياني يبين لنا، بأكثر وضوح، مدى ارتفاع عدد مقابلات كرة القدم التونسية مقارنة بالرياضات الجماعية الأخرى خلال سنتي 2014 و2015:



رسم بياني عدد 1: مقارنة بين عدد المقابلات المنتظمة خلال سنتي 2014 و2015 في الرياضات الجماعية التونسية.

لم يعد العنف في الملاعب الرياضية التونسية يقتصر على جماهير الفرق المتنافسة، بل تجاوزه إلى العنف بين جمهور الفريق الواحد، حيث تكررت الصدامات بين المجموعات في أكثر من مناسبة واختلقت أسبابها ودوافعها، ورغم أن ظاهرة العنف في الملاعب التونسية لم تنزل محدودة مقارنة بالملاعب العالمية إلا أننا سجلنا بعض الحالات الخطيرة، يبقى أهمها:

- أحداث 15 جوان 1999 حيث لقي 3 أفراد مصرعهم إثر انتهاء مباراة في نطاق كأس تونس بين الترجي الرياضي التونسي والأولمبي الباجي. وعرفت هذه المواجهة أقوى درجات العدوانية والتعدي على الملكية العامة والخاصة حيث تواصلت لأكثر من 5 ساعات بعد المقابلة ودارت بعض فصولها في الطرقات الرئيسية والأحياء الشعبية لمدينة باجة.

- أحداث 27 مارس 2006 بين جماهير فريقي الترجي الرياضي التونسي والنجم الرياضي الساحلي والتي امتد من محوّل هرقلّة إلى محطة استخلاص الطريق السريعة.

- أحداث 15 سبتمبر 2007 بين جماهير فريقي النادي الإفريقي والنادي البنزرتي حيث بلغت العدوانية أشدها فهشمت واجهات المحلات وأحرقت السيارات كما شهدت اقتحام مصحة خاصة وإتلاف تجهيزات طبية. وعرفت هذه المواجهة سقوط عدد كبير من الجرحى. وتواصلت المواجهة لأكثر من أسبوع ووصلت إلى تخوم تونس العاصمة حيث تمّ تسجيل حالات اعتداء على طلبة أصيلي مدينة بنزرت.

أصبحت ظاهرة العنف الرياضي، عامة وفي مجال كرة القدم خاصة، تشكّل خطراً على الممتلكات والأرواح حيث تظهر ملامحها بصورة ملموسة في سلوك المشجعين خاصة المنتهين إلى مجموعات التشجيع ومجموعات الأنصار قبل وأثناء وبعد المقابلات الرياضية. وهو ما كان له الأثر الكبير في مجريات وسيرورة البطولات المحليّة، فأصبحنا نشاهد إيقاف وإلغاء بعض المباريات وفي مختلف الأقسام.

شهدت سنة 2011، حسب تقارير وزارتي شؤون الشباب والرياضة والداخلية، ذروة حالات الشغب والعنف في الملاعب الرياضية التونسية بحصيلة تجاوزت 200 حالة سُجّل أغلبها في سوسة (24 حالة) و20 حالة في إقليم تونس الكبرى. كما تم تسجيل حوالي 200 حالة اعتداء على أعوان الأمن في نفس الفترة و61 حالة اعتداء على الحكّام الرياضيين. كما تمّ إيقاف 29 مباراة كرة قدم، وهو ما نتج عنه القرار الشهير بإجراء المقابلات الرياضية دون حضور الجمهور، إلّا أن هذا القرار لم يحد من انتشار العنف الرياضي، بل أصبحنا نلاحظ ارتفاع وتيرة العنف المتبادل بين اللاعبين والمسيرين الرياضيين.

أبرزت إحصائيات وزارة شؤون الشباب والرياضة المدرجة في تقاريرها السنوية الرسمية أنّ العنف المتبادل بين اللاعبين هو الذي يتصدّر قائمة أنواع العنف المرتكبة في الفضاء الرياضي. وتصل أعلى نسبة حسب تقرير وزارة شؤون الشباب والرياضة لسنة 2005 إلى 51.1 بالمائة من مجموع أنواع العنف المرتكبة والتي تصل إلى 785 حالة عنف خلال الموسم الرياضي 2004 - 2005. لقد شهدت هذه النسبة انخفاضا ملحوظا من موسم رياضي إلى آخر، لتصل إلى 10.1 بالمائة خلال الموسم الرياضي 2011 - 2012. وهذا عادي بحكم تعطلّ إجراء المقابلات الرياضية سنة اندلاع الثورة التونسية. وقد سجّلنا بداية ارتفاع نسبة العنف المتبادل بين اللاعبين سنة 2014 بنسبة 42 بالمائة من مجموع أعمال العنف المرتكبة بالفضاء الرياضي. ونلاحظ أنّ نسبة العنف اللفظي والجسدي المرتكب من قبل اللاعبين تجاه الحكام مرتفعة أيضا إذ بلغت ذروتها سنة 2006 بنسبة 35.6 بالمائة وبقيت هذه النسبة مرتفعة إلى حدود سنة 2010، لتشهد لأوّل مرة انخفاضا ملحوظا سنة 2012 وصل إلى 18.3 بالمائة. إلّا أنّ هذه النسبة شهدت ارتفاعا من جديد وبصفة صاروخية سنة 2014 إلى 37 بالمائة، وذلك حسب آخر الإحصائيات المتحصل عليها من قبل وزارة شؤون الشباب والرياضة في تقريرها السنوي الرسمي لسنة 2014. وفيما يلي جدول تفصيلي لأحداث العنف داخل الفضاء الرياضي في تونس خلال الفترة المتراوحة بين 2004 و2014:



وفيما يلي جدول تفصيلي لأحداث العنف داخل الفضاء الرياضي في تونس خلال الفترة المتراوحة بين 2004 و2014:

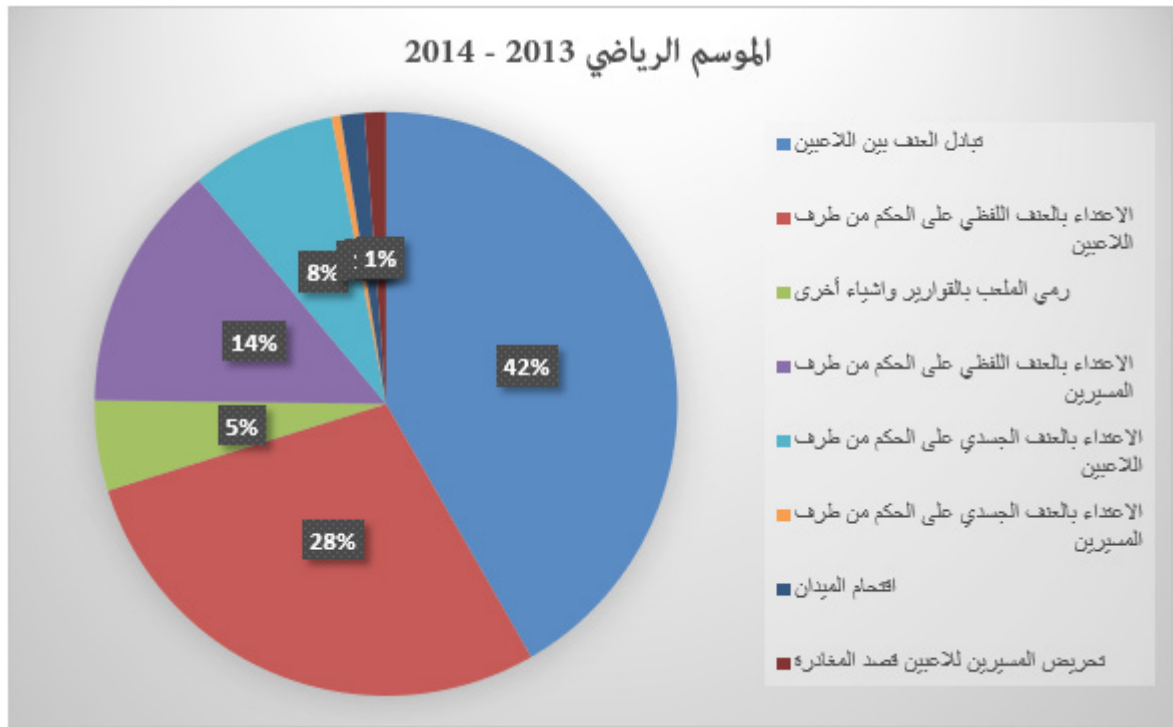
14/13	12/11	11/10	10/09	09/07	08/07	07/06	06/05	05/04	04/03	العنف المرتكب
370	27	28	316	312	327	337	346	401	223	تبادل العنف بين اللاعبين
41.7	10.1	18.8	39.15	39.3	41	42.6	42.7	51	38.3	
253	27	9	208	211	221	209	202	200	141	الاعتداء بالعنف اللفظي على الحكم من طرف اللاعبين
28.5	10.1	6	25.77	26.6	27.7	26.5	24.9	25.5	24.2	
44	63	55	114	93	87	89	102	83	75	رمي الملعب بالقوارير وأشياء أخرى
5	23.5	36.9	14.12	11.7	10.9	11.2	12.6	10.6	13	
122	87	21	73	75	61	59	47	35	76	الاعتداء بالعنف اللفظي على الحكم من قبل المسيرين
13.7	32.5	14.1	9.04	9.4	7.6	7.5	5.8	4.5	13	
72	22	12	65	71	67	67	87	50	34	الاعتداء بالعنف الجسدي على الحكم من طرف اللاعبين
8.1	8.2	8	8.05	8.9	8.4	8.5	10.7	6.3	5.8	
4	13	6	16	14	17	16	15	10	14	الاعتداء بالعنف الجسدي على الحكم من قبل المسيرين
0.5	4.8	4	1.99	1.8	2.1	2	1.8	1.3	2.4	
12	29	14	9	8	11	10	7	4	12	اقتحام الميدان
1.3	10.8	9.4	1.12	1	1.4	1.3	0.9	0.5	2.1	
11	0	4	6	9	5	3	5	2	7	تحريض المسيرين للاعبين قصد مغادرة الميدان
1.2	0	2.7	0.75	1.1	0.6	0.4	0.6	0.25	1.2	
888	268	149	807	793	796	790	811	785	582	المجموع
100%	100%	100%	100%	100%	100%	100%	100%	100%	100%	

جدول عدد 2: الأحداث المؤلّفة بالسلوك الحضاري المرتكبة داخل الفضاءات الرياضية<sup>37</sup>

<sup>37</sup> التقارير السنوية لوزارة شؤون الشباب والرياضة خلال الفترة المتراوحة ما بين الموسم الرياضي 2003-2004 والموسم الرياضي 2013-2014.

ملاحظة: سبب الانخفاض الملحوظ لعدد الاعتداءات خلال المقابلات سنة 2011 هو العدد المحدود للمنافسات الرياضية التي انتظمت خلال هذه السنة. وهذا راجع للوضع الأمني سنة اندلاع الثورة التونسية.

وفيما يلي رسم بياني لأحداث العنف المسجلة داخل الفضاءات الرياضية التونسية خلال الموسم الرياضي 2013 - 2014 بمختلف أنواعها:



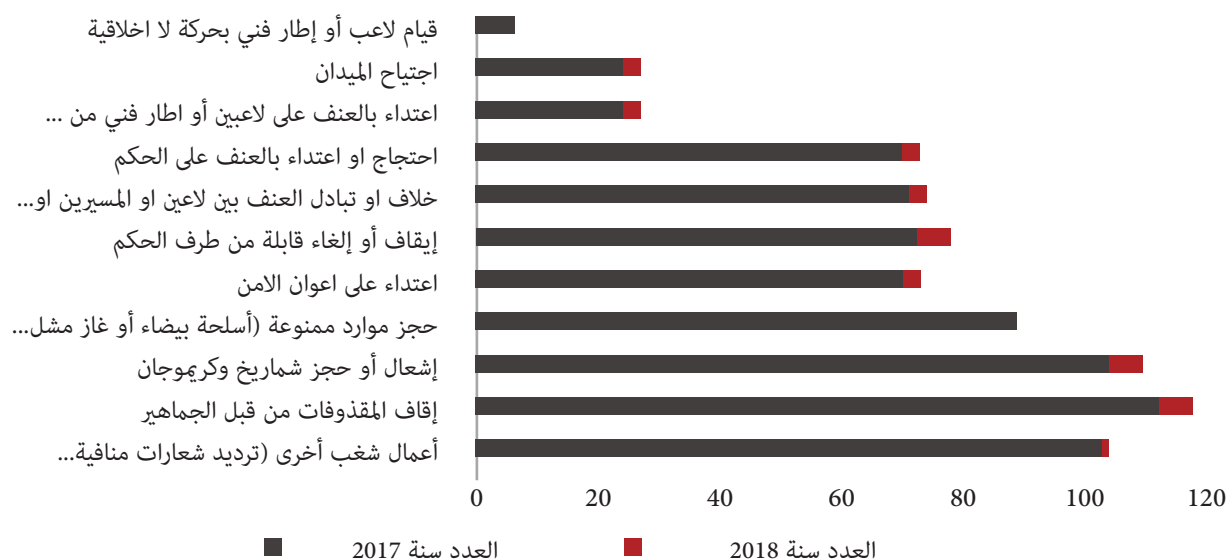
رسم بياني عدد 2: أحداث العنف داخل الفضاءات الرياضية التونسية خلال الموسم الرياضي 2013/2014.

تتضمن التقارير الأمنية الرسمية، مقارنة بالتقارير السنوية الرسمية لوزارة شؤون الشباب والرياضة، معطيات إحصائية أكثر دقة حول أعمال العنف المرتكبة داخل الفضاء الرياضي من قبل الجماهير الرياضية وتصنيف لأشكال هذه الأعمال.

وفيما يلي جدول تفصيلي لأحداث العنف المسجلة خلال سنتي 2017 و2018: <sup>38</sup>

النسبة (%)	العدد سنة 2018	النسبة (%)	العدد سنة 2017	نوعية الأحداث
3	2	14.7	100	أعمال شغب أخرى (ترديد شعارات منافية للأخلاق الإضرار بالمنشآت الرياضية..)
22.7	15	13.8	94	إلقاء المقذوفات من قبل الجماهير
16.7	11	13.4	91	إشعال أو حجز شماريخ وكرهوجان
0	0	13.2	90	حجز مواد ممنوعة (أسلحة بيضاء أو غاز مشل للحرقة أو مواد حارقة)
12.2	8	9.6	65	اعتداء على أعوان الأمن
15.2	10	9.4	63	إيقاف أو إلغاء مقابلة من طرف الحكم
10.6	7	9.3	63	خلاف أو تبادل العنف بين لاعبين أو مسيرين أو جماهير
9.1	6	9	61	احتجاج أو اعتداء بالعنف على الحكم
4.5	3	3.5	24	اعتداء بالعنف على لاعبين أو إطار فني من طرف الجماهير
6	4	3.4	23	اجتياح الميدان
0	0	0.7	5	قيام لاعب أو إطار فني بحركة لا أخلاقية
100%	66	100%	679	المجموع

وفيما يلي رسم بياني توضيحي:



رسم بياني عدد 3: مقارنة بين سنتي 2017 و2018 حول أحداث العنف المُرتكبة داخل الفضاءات الرياضية.

<sup>38</sup> التقارير الأمنية لوزارة الداخلية لأحداث الشغب والعنف المسجلة خلال سنتي 2017 و2018.

تذكر أحدث التقارير الأمنية الرسمية الخاصة بمجريات الأحداث في المقابلات الرياضية الرسمية في كرة القدم التونسية إلى حدود شهر فيفري 2018 أن أحداث العنف الرياضي نجم عنها إصابات سواء في صفوف الجماهير أو رجال الأمن، مما يدل على خطورة هذه الأحداث ووجوب التوقي منها وأخذ التدابير اللازمة للحد من تفاقم هذه المظاهر السلوكية الخطيرة. وفيما يلي جدول احصائي لأنواع أحداث العنف المسجلة بالفضاءات الرياضية وما نجم عنها من إصابات إلى موفى 13 فيفري 2018:

النسبة (%)	عدد الإصابات	النسبة (%)	عدد الأحداث	نوعية الأحداث
3.3	2	29.3	74	رمي الحجارة والمقذوفات
37.7	23	18.2	46	الاعتداء بالعنف على أعوان الأمن والحماية المدنية
6.6	4	16.7	42	رمي وإشعال الشماريخ
6.6	4	10	25	تبادل العنف بين الجماهير الرياضية
24.5	15	9.1	23	الاعتداء بالعنف الجسدي على الحكام
21.3	13	6	15	الاعتداء بالعنف على اللاعبين أو المسؤولين
-	-	5.5	14	الإضرار بتجهيزات المنشآت الرياضية والوسائل
-	-	5.2	13	اقتحام الميدان من قبل الجماهير
100%	61	100%	252	المجموع

**جدول عدد 4:** إصابات وأحداث العنف المسجلة داخل الفضاء الرياضي إلى حدود 13 فيفري 2018<sup>39</sup>  
ملاحظة: تم إيقاف 21 مقابلة رياضية من قبل الحكام بسبب أحداث العنف في جميع الأصناف والاختصاصات الرياضية.

نلاحظ من خلال الجدول السابق مدى تنامي نسبة الأحداث العنيفة والمخلّة بالروح الرياضيّة والميثاق الرياضي، وهو ما من شأنه أن يحيلنا إلى أنّ البعد التنافسي ورهاناته الآنيّة صارا طاغين في المشهد الرياضي اليوم فطمسا كلّ اعتبار أخلاقي أو مرجعيّة قيمية. إلّا أننا إذا ما قارنا نسب العنف المرتكبة من قبل اللاعبين والمسيرين من جهة ونسبة عنف الجماهير الرياضيّة، نلاحظ أنّ نسبة الطرف الأول طاغية إحصائيا مقارنة بالطرف الثاني. ولكن الاهتمام بظاهرة عنف الجماهير يعود إلى خطورة هذه الظاهرة وتسببها في وقوع إصابات بليغة والأخطر تحولها من الفضاء الخاص إلى الفضاء العام وتأثيراتها الجانبية خارج الفضاء الرياضي وقابليتها للتطور السريع لتصل إلى درجة أعنف وأشمل.

وقد استأثرت رياضة كرة القدم بنصيب الأسد من أحداث العنف التي يقوم بها الجمهور بنسبة وصلت إلى حدود 58.3 بالمائة من مجموع الحوادث المسجلة المتعلقة بالجمهور. وفيما يلي جدول توضيحي:

كرة الطائرة	كرة السلة	كرة اليد	كرة القدم	نوعية الأحداث
03	21	08	34	رمي الملعب بالمقذوفات
02	03	03	14	التفوه بالعبارات المنافية للأخلاق
-	-	03	11	اقتحام الميدان
-	-	-	01	الاعتداء على الحكم
05	24	14	60	المجموع

جدول عدد 5: حوادث العنف المرتكبة من قبل الجمهور<sup>40</sup>

لقد اتخذ العنف الرياضي أشكالاً جديدة تتجاوز حدود المنشآت الرياضية لتمتد إلى الشوارع والمقاهي والأحياء والمؤسسات التربوية، خاصة في ظل انتشار مجموعات الجماهير ونجاحها في استقطاب الشباب التلميذ من خلال ابتكارها لأساليب خاصة في التشجيع تتأقلم فيها مع الظروف الآنية مثل منع حضور الجماهير في المباريات أو تحديد سن أدنى لرواد الملاعب.

## الفصل الرابع:

### بدايات تشكّل المجموعات في الرياضة التونسية وعلاقتها بالعنف الرياضي: مجموعات الترجي الرياضي التونسي والنادي الإفريقي أمودجا

لطالما كان جمهور الملاعب والفرق التونسية، إلى سنوات ليست ببعيدة، جمهورا مقسما ومختلفا، يغيب فيه التفاعل الجماعي، وتنتفي فيه كلّ أشكال التضامن والاندماج الجماعي. وفي السنوات الأخيرة، تغيّر الأمر وأصبح الجمهور الرياضي مكثفا، تسيطر فيه مجموعات معينة هي مجموعات التشجيع التي تتفاعل فيما بينها<sup>41</sup> لا في إطار وفضاء اللعبة فقط، بل خارج نطاقها أيضا-ومع النادي الرياضي الذي تنتمي إليه أو مجموعات الفرق المنافسة. هذه التحولات غير المألوفة والدخيلة على الفضاء الرياضي التونسي، ساهمت في ظهور تغيّر على مستوى التصورات والتمثّل الاجتماعي للمجموعة والفرد ممّا ساهم في ارتفاع وتيرة التفاعل سلبا وإيجابا. من هنا، إذن، يمكن اعتبار تشكّل ظاهرة العنف في الملاعب المتعاطمة شيئا فشيئا، نتيجة حتمية ومعقولة ومتوقعة لحالات التنافس والتصادم. لقد أصبحت تصرفات الفرد وأفعاله وتعبيراته أشبه ما يكون بالشفرات أو الرموز التي لها خصوصياتها، خاصة ونحن نعيش في عالم انقلب فيه تراتب النماذج. لقد «تراجعت النماذج الثقافية والحضارية: فقد كان المعلم نمودجا اجتماعيا وثقافيا يُقتدى به سلوكيا ويُعامل معاملة الرّمز. أمّا اليوم، فالمرجع هو صاحب السلطة والمال، وهو الرياضي والسّمسار وصاحب الثروة».<sup>42</sup>

وهو استنتاج قادتنا إليه ملاحظة ما يدور في المنعرجات «Virage» من تفاعلات بين مجموعات التشجيع.

#### 1. خصوصية وكيفية تشكّل مجموعات فريقَي الترجي والإفريقي:

لقد تطبّعت أشكال التفاعل بين الجمهور الرياضي بنمط جديد، إذ أصبحت مجموعة ما تسيطر على مجموعة أو مجموعات أخرى من نفس النادي، وتصبح تمارس عليها هيمنة رمزية، خاصة وأنّ مفهوم الجماعة أو المجموعة في ضوء التفاعلية الرمزية هو نظام من الأفراد المتفاعلين فيما بينهم في مجال أو فضاء معيّن.

<sup>41</sup> تجنح بعض مجموعات التشجيع من خلال أفرادها إلى ممارسة دور الرقابة وتتحكم في سلوك أفرادها من خلال التأثير على المسار الاجتماعي لهؤلاء الأفراد داخل الفضاء الرياضي.

<sup>42</sup> منصف، وناس (2011)، الشخصية التونسية: محاولة في فهم الشخصية العربية، الدار المتوسطية للنشر، ط 1، تونس، ص. 167-168.

فالفاعل الرياضي ومن خلال تواجده داخل الفضاء الرياضي يتوقع ما الذي سيحدث حوله من خلال التفاعل الاجتماعي مع الأفراد المحيطين به وهو ما يجعله قادرا على تقرير أو إقرار الامتثال إلى المجموعة التي تتماشى وتصوراتها وتوجهاته ورفض المجموعة التي لا تلي حاجاته الاجتماعية ورغباته النفسية. أصبح هذا النمط الجديد المبني على الثنائية التقابلية أو المتضادة هو الطاغي في تفاعل الجماهير فيما بينها داخل الفضاء الرياضي. «فهذه العلاقة نسبية وليست مطلقة لأنها تختلف باختلاف درجة التفاعل، فبقدر ما تزيد شدة هذه العلاقة الموجبة داخل الجماعة، فإنه يصاحبها نبد وكرهية للأشخاص خارج الجماعة».<sup>43</sup>

تحولنا، بالتالي، من «الأنا» إلى «نحن» بما هي مجموعات تشجيع (أو مجموعات جماهير أو أنصار) منظمة في تفاعلها تجمعها رموز وطقوس وأفكار وحاجات مشتركة (ف نجد الضفة الشمالية أو Curva Nord بكلّ مكوناتها Leaders, Winners, Dodders, Vandales, Chiccos, Los barrajos, Soldados, Jokers... يقابلها الضفة الجنوبية Curva Sud بكل مكوناتها هي الأخرى Ultras, Torcida, Fidayen, Blood & Gold, Matadors, Zappatista, Warrioss...), وهو ما نتج عنه نوع من السلوك المنمط السهل اكتشافه وإمالة اللثام عنه في مواقف التفاعل الاجتماعي اليومي لهؤلاء الأفراد. سلوك لم يخل من تجاوزات غير مألوفة عن القيم الاجتماعية السائدة في العلاقات الاجتماعية يتجسد، بالدرجة الأولى، في أعمال العنف وما تحمله من رسائل الغضب والتعصب والهستيريا والهيجان. مع العلم أن هذا النمط من السلوك مهما أظهر من عفوية فقد حاولنا إدراجه وتحليله وفق مبادئ الفردانية المنهجية وثنائية المسايمة والمغايرة إلا أن هذا لا ينفي الدور الكبير الذي يقوم به الـ Capo أو قائد المجموعة الذي يحرك المجموعة ويتحكم في سلوكياتها وتفاعلاتها وعلاقاتها وتوجهها. يصعب في الحقيقة التواصل مع قادة المجموعات ونوابهم أو مساعديهم، إذ لكل مجموعة قائد وعدد من المساعدين Chef Secteur الذي يتولون مهام التنسيق والتأطير وكلّ المهام الثانوية، وعلى الأغلب يرفضون قطعا التصريح عن أسمائهم وذلك «لدواعي العقلية أو Mentalité التي تمنع وتحجّر الظهور الإعلامي أو العلني وخاصة بصورة فردية أو خارج مقرات الـ Groupe». وعادة ما يستعمل هؤلاء القادة ومساعديهم الأسماء المستعارة حتى في تعاملهم مع الأفراد المنتمين إلى نفس مجموعة التشجيع.

<sup>43</sup> مليكة، لويس كامل (1980)، سيكولوجية الجماعة والقيادة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ص. 497.

## 2. أشكال التواصل داخل مجموعات فريق التزجي والإفريقي:

يعمد قادة وأعضاء المجموعات لتبادل المعلومات والإشارات التنظيمية إلى اتباع مبادلات لغوية صعبة لا يفقها غيرهم. فمجموع العلاقات والمبادلات والتفاعلات فيما بينهم هي مبنية على الإشارات والرموز والعلامات التي يصعب على أي فرد خارج المجموعة مجرد التقاطها أو حتى تجميعها وتحليلها ودراساتها. وعادة لا يبدون أي تعاون مع أي طرف آخر غريب حتى وإن تعلق الأمر بمعلومات بسيطة. فتلك قواعد اللعبة عندهم. فالعالم الاجتماعي لمنتسبي مجموعات التشجيع، وحتى مناصريهم من غير المنتسبين في بعض الأحيان، هو عبارة عن مجموعة من الشبكات والعلاقات التي تقوم على الفهم المشترك عبر التأويل.

وتفاعل المشجعين في المدارج يحكمه أفراد يمثلون «أعلى هرم المنعرجات» هم رؤساء مجموعات التشجيع الذين يتحكمون في نسق التفاعل والسلوكيات. ولهم رموز وشفرات سرية موحدة تجمعهم ويتفاعلون ويتواصلون بها فيما بينهم. ولكل مجموعة تشجيع رموزها الخاصة بها والتي يتقنها كل Tiffos. ويعي كل فرد داخل تلك المجموعة جملة القواعد والموانع والواجبات مثل رفع الأيدي وخلع الملابس والكرّ والفرّ في مواجهة الأمن والسيطرة على نسق المدرجات وتغطية المطلوبين أمنياً وغيرها. هذه القواعد والرموز لا يكتسبها الفرد إلا عن طريق التفاعل والتواجد الدائم في الفضاء الرياضي مع هذه المجموعات. حيث أن التفاعل داخل مجموعات التشجيع تحكمه رموز وشفرات معروفة ومحددة لها دلالاتها المعينة للاتصال والتواصل تأتي من الخبرة الاجتماعية والتنشئة الاجتماعية دون غيرها. ويتم التفاعل داخل المنعرجات بصفة مباشرة عن طريق اللغة، والتي عادة ما تكون مشفرة، أو من خلال رفع شعارات شفوية عنيفة. وبصفة غير مباشرة عن طريق الرموز والإشارات من قبيل الهمز وإشارات اليد أو الرأس أو الأصابع.... وأصبحت بالممارسة هذه الرموز تُعتمد فتخاطب عقل الفرد في المجموعة، التي سبق أن استبطنها، لترسل إليه أحوال الفريق والمجموعات المنافسة والرديفة «ومخططات الحاكم لضرب الـMouvement». فيصبح العقل، بالتالي، في هذا النطاق منتوجاً اجتماعياً يُعرف بقدرته على فهم الإشارات والرموز اللغوية»، ويساعد الأفراد على التكيف والتأقلم داخل الجماعة والاندماج فيها. ولعله من نافل القول التذكير بأن العلاقات التفاعلية، حسب ما تقرّ به التفاعلية الرمزية، تستوجب التأثير والتأثر حيث «لا يخضع الأفراد إلى الوقائع الاجتماعية وإنما هم يُنتجون الوقائع ويُشكّلون الفعل دون أن يستلزم ذلك بالضرورة طابعا عقلانيا محضا». <sup>44</sup> فتكون الرموز والسلوكيات والتفاعلات والتمثيلات والتمظهرات ذات معان ودلالات.

<sup>44</sup>Michel. LALLEMENT (1973), Histoire des idées sociologiques de Parsons aux contemporains; Nalhan; 2ème Ed; .Paris; p 161-163



الرمز	الدلالة في المنعرجات الشمالية	الدلالة في المنعرجات الجنوبية
رفع الأيدي للسماء	طلب الانتصار والنصرة من الله: «يا ربي يا عالي انصر لفريقي»	طلب الانتصار والنصرة من الله: «يا عالي يا عالي انصر الترجي»
رفع الأيدي مغلقة	رمزا للحرية والعدالة والثورة (نسبة إلى ثورات التحرر في أمريكا الجنوبية خاصة).	
تحريك الأيدي من اليمين إلى الشمال والعكس بالعكس	تعني التعبير عن الفرحة بالانتصار تصاحبها أغنية المألوف التونسي «بالعودة».	
تحريك اليد اليمنى في اتجاه واحد	تعني Dégage الموجهة للاعب أو الحكم أو رجال الأمن تعبير عن الغضب أو التحذير منه، وتعني Dégage الموجهة للجمهور المنافس تعبير عن الاحتقار.	
تحريك الأصابع وإطلاق الأيدي إلى الأمام	تعبّر عن التشويق تكون عادة عند تنفيذ ضربات الجزاء أو دخول اللاعبين إلى الميدان أو خلال مراسم التتويج.	
رفع الإصبع الأوسط للسماء أو العكس للأسفل	دلالة لا أخلاقية يُراد بها استفزاز رجال الأمن أو اللاعبين المعوضين أثناء عمليات الإحماء أو حارس مرمى الفريق المنافس	
خلع الملابس والتكتل في مجموعات	تعني الاستعداد للمعركة من خلال التوحّد ورصّ الصفوف لمواجهة الأمن. الملاحظ أن معظم الذين يخلعون أقمصتهم يكونون عادة في حالة سكر أو تحت تأثير المخدرات.	
التحرّك في اتجاهات مختلفة والقفز والتصفيق المنظم	تعني التحفيز على الانتصار: « Allez... Marseillais Chantez »	تعني التحفيز على الانتصار: « Allez aller Roma allez »
الدوران وعدم مشاهدة دخلة المنافس	تعني احتقار واستفزاز الجمهور المنافس.	
الدوران وعدم متابعة المقابلة	تعني تحذير اللاعبين من غضب الجمهور على النتائج السيئة.	
رفع الأيدي مغلقة وتكوين علامة X	تعني التخلّص من العبودية والاضطهاد والهرسلة: «حكومة فوتونا...»	تعني التخلّص من العبودية والاضطهاد والهرسلة: «هزونا لغواتنامو...»

جدول عدد 6: نماذج من رموز ودلالات التفاعل والتواصل بين المجموعات داخل الفضاء الرياضي 45

<sup>45</sup> من خلال الملاحظة المباشرة في الملاعب أثناء المقابلات الرياضية

يشكّل، إذن، الفرد علاقاته مع أفراد مجموعته والمجموعات الأخرى من خلال تفاعله وانخراطه ومواقفه وأدواره الاجتماعية التي يعيشها في مختلف الفضاءات الرياضية، من خلال تفاعله الاجتماعي عبر التشجيع المستمرّ وامتلاك وتطبيق عقلية مجموعات الجماهير فيما تعلّق بالولاء والتشجيع، وهي صورة أو مظهرات جسدية رمزية تمكّن من تكوين مواقف أولية هي في نهاية المطاف أدوات للتفاعل والتواصل غير اللفظي بين هؤلاء الفاعلين الرياضيين خاصة إذا ما اعتبرنا تعريف Goffman للتفاعل بما هو «خضوع المنخرطين فيه لطقوسية تظهر تستوجب قواعد لتيسير هذا التواصل بوصفها مجموعة التظاهرات الشكلية التي من خلالها يُظهر الفرد وجهه الرمزي.»<sup>46</sup> فهذا التشكّل الجديد لدى الفرد يأخذ عدّة أشكال وعدّة طرق للاندماج داخل الجماعة، من ذلك مثلا المنافسة والطموح والجرأة والتطفّل والولاء والانتماء والتضحية، وهي صفات لا تُورث بل يكتسبها الفرد عن طريق التفاعل والتنشئة الاجتماعية بما يخلق نوعا من التمثّل الفردي والجماعي للمجموعة الجماهيرية أو النادي الذي ينتمي إليه.

«فالمجال الرياضي أو المجال الاجتماعي ذو تركيب بيولوجي إلا أنّ خاصيته الأساسية هي الحركة فهو مجال ديناميكي أي أنه مُط متغيّر من أفراد متفاعلين والمجال الاجتماعي هو جماعة فاعلة أو متغيرة ينظم فيها سلوك الأفراد.»<sup>47</sup> وهو ما بدت جليا في فضاءات الملاعب التونسية حيث أصبح العنف ثقافة وميزة لمختلف مجموعات الجماهير التي تمارس العنف وتساهم في انتشاره بين مختلف الفاعلين الرياضيين. وقد تجسّد هذا العنف في الصراع الدائم بين مجموعات الجماهير على اختلاف تصنيفاتها (Nostra و Ultra) في سعيها الدائم للهيمنة الرمزية على المجموعات الأخرى خاصة تلك المجموعات حديثة العهد أو قليلة العدد. حيث ومن خلال الملاحظة الميدانية تبينا أنّ مجموعات الجماهير «القديمة» أصبحت ضحية المجموعات حديثة العهد التي تحاول دائما سرقة Bache المجموعات الكبرى بما ينجر عنه نهاية وانحلال تلك المجموعة، وهي سلوكات تتبعها سعيها منها لفرض نفسها على الساحة، وهو ما انجر عنه تطوّر عنف الملاعب من عنف فردي إلى عنف جماعي منظم تحكّمه عديد التفاعلات والعلاقات تتحكّم فيه السلوكيات والأدوار «فالصراع بين الجماعات أصعب في حالة الصراع داخل الجماعة وهو عادة ما يُدعم بالمشاعر السلبية والتي تنشأ أصلا في مجرى حياة الجماعة.»<sup>48</sup> ويساهم الخوف في زيادة تماسك الجماعة حيث تنشأ العلاقات وتتوطّد على أساس كراهية الآخر ونبذه، وبذلك يتحقق التفاعل الإيجابي لهؤلاء الأفراد فيما بينهم وحسب تصوراتهم.

<sup>46</sup>Jean. Izet (2005), Sociologie De Erving Goffman ; La Découverte ; Paris ; P. 27

<sup>47</sup> مليكة، لويس كامل، المرجع السابق، ص. 420.

<sup>48</sup> المرجع السابق، ص. 420.

### 3. دوافع أعمال العنف والشغب لدى مجموعات فريقي الترجي والإفريقي:

بالعودة إلى تاريخ ظهور ظاهرة العنف التي أصبحت واسعة الانتشار في الملاعب التونسية- نجد أنها ضاربة في القدم، قدم الرياضة التنافسية. كما أن مجال كرة القدم موضوع الدراسة تميّز في العشرينين الأخيرين بعدد التغييرات والتوترات وصولاً إلى Hui-clos، خاصة مع تغيير العلاقات الاجتماعية التي تربط الفاعلين الاجتماعيين في المشهد الرياضي. ولئن تأكد لدينا من خلال ما تبثه وسائل الاعلام الرياضي وما نستقرئه من التقارير الأمنية الرسمية الانتشار الواسع للعنف بمختلف أنواعه وتمثلاته ومظهراته في ملاعب اليوم، فإن الجدير بالذكر في هذه المرحلة من البحث هو تغيير طبيعته ووسائله التي تجاوزت فضاء الملعب الرياضي لتشمل الفضاءات الأخرى مثل الشارع، المقهى، الأحياء الشعبية، المواقع الاجتماعية الافتراضية. فأصبح الفضاء الرياضي يضم مجموعات جماهيرية ضخمة يكثر فيها التفاعل المبني على قواعد وقوانين تنظم العلاقات بينها والتفاعل داخل الفضاء من خلال تبادل الأدوار حسب قيم وتصورات كل فرد داخل المجموعة. ولابد هنا من العودة إلى التفاعلية الرمزية التي تمكّنا من دراسة أشكال التفاعل في العلاقات الاجتماعية داخل مجموعات التشجيع والبحث في دوافع تشكّل العنف داخل المجموعات المنتمية إلى نفس النادي أي جمهور الفريق الواحد. إذ يتراوح عادة أعمار جمهور الملاعب بين 18 سنة و28 سنة يتميزون فيما بينهم بالطريقة «غير الحضريّة» والتي لا تتماشى والقيم الاجتماعية السائدة في تعاملهم مع الفوز أو الخسارة. إذ اختلفت مظاهر العنف ودوافعه لديهم وتعدّدت وسائله، حيث تحوّل من عنف فردي إلى عنف جماعي. فوضع الفرد نفسه في مواقع الجماعة مثل جماعة Zappatista أو Ultra أو Leaders أو Dodddgers ليصبح له أكمل الاستعداد للعنف من خلال اندماجه وانصهاره مع المجموعة والدور الذي يتقمصه فيطوّع ويطبّع تصرفاته وأفعاله وفق ما تفتضيه المجموعة وموقعه فيها. فالعنف أصبح عندهم أنجع الوسائل تعبيراً عن الاحتجاج والكبت والظلم والتهميش وهو ما ساهم في ارتفاع منسوب العدوانية. وهو مفهوم (سوسيولوجي وسياسي) أكثر حياداً من «عنف» الذي يمكن أن نسوقه هنا «فإذا كان العنف يخترق تاريخاً بأكمله فلأن العدوانية الكامنة في الصميم من كيان الإنسان وإذا تجاهل هذه الجذور البيولوجية والنفسية ينتهي إلى إدراك الجانب السلبي والهدّام فقط للعنف».<sup>49</sup>

<sup>49</sup> إلياس، الزحلاوي (1993)، المجتمع والعنف، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ط 3، بيروت، ص. 59.

ومن هنا، فإنّ الهدف من هذا السلوك العنيف لدى هذه الفئات الجماهيرية هو الرغبة في البروز والسيطرة الرمزية والتعبير الحرّ عن جملة المشاكل السياسية والاجتماعية التي يواجهونها. وقد لاحظنا، من خلال التقصي الميدانية حول المجموعات، وجود بعض مظاهر العنف بين مجموعات التشجيع المنتمية لنفس الفريق الرياضي: Ultra و Curva Sud من جهة ضد Zappatista و Supra من جهة أخرى، هذا في المدرجات الجنوبية، أمّا في المدرجات المقابلة يدور صراع بين مجموعات North Van- و dals و Dodggers من جهة في مواجهة Leaders و Africain Winners من جهة ثانية. وعادة ما يكون محور الصراع «الدخلة» أو المكان الذي ستضع فيه كلّ مجموعة الـ Bache الخاص بها. فيحضر العنف اللفظي في البداية ثم يتطوّر تدريجياً إلى العنف المادي والجسدي وينتشر الصراع بعد ذلك إلى خارج الفضاء الرياضي بعد أن كان منحصرًا في بداية الأمر في منطقة المنعرجات Virage. ومثل هذه الظواهر أصبحت مألوفة لدى المتابعين للشأن الرياضي في تونس لعلّ أبرز المناسبات والصراعات ما شهدته مقابلة الأهلي المصري والترجي الرياضي التونسي أو مباراة هذا الأخير ضدّ TP Mazembe الكونغولي، والذي حاولت كلّ مجموعات التشجيع الترجية التملّص منها مؤكدين أنّ تلك الأحداث العنيفة مردّها تواجد منظمات من «الحوم» في منطقة المنعرجات.

أكد أخصائي علم النفس الرياضي على أهمية التحليل النفسي للعنف لأنه «يتيح لنا أن نتعرّف في كلّ منا على عدوانية فيه لا تتردّد إلى غيرها فهي ليست بالشرط المطلق إذ أنها تتعدى ضرورة الحياة»<sup>50</sup>، فإنهم نبهوا إلى ضرورة التمييز بين نوعين من العنف:

### أ. العنف كغاية:

يهدف السلوك العدواني، من منطلق العنف كغاية، إلى إيقاع الأذى البدني والنفسي بالآخرين وإصابتهم بالضرر والتشفي والتمتع بمشاهدة الألم الذي لحق بهم. ويمكن أن نشاهد ذلك السلوك خلال مباراة كرة القدم عندما يقوم اللاعب بضرب لاعب آخر عمدًا، أو لكمة على وجهه أو جسمه. كما يمكن أن نشاهد نفس السلوك بصورة مغايرة في ألعاب رياضية أخرى. ويتجسّد العنف كغاية على مستوى مجموعات التشجيع من خلال سلوكهم العنيف الذي يهدف إلى الهيمنة الرمزية، خاصة المجموعات الجماهيرية ذات التعداد الكثيف والمشروعية التاريخية (تكتسب من خلال أقدمية التأسيس) مثل Cur- و Africain Winners و Ultra و Leaders Clubistes، التي مارست شتى أشكال العنف والهرسلة والاضطهاد الفردي والجماعي على المجموعات الأخرى الفتية مثل Supra Sud، Zappatista، و Dodggers Clubistes، North Vandalez.

<sup>50</sup> المرجع السابق، ص. 60.

## ب. العدوان كوسيلة:

يهدف العدوان، من منظور العدوان كوسيلة في الفضاء الرياضي، إلى إلحاق الأذى باللاعب بغية الحصول على تعزيز خارجي كإرضاء المدرب أو الزميل أو الجمهور أو الإداري، ويمكن مشاهدة ذلك السلوك في مباراة كرة القدم كعرقلة اللاعب وإعاقته من الوصول لتسجيل الهدف، والاعتداء المتعمد ضد اللاعبين الآخرين. وهو أيضا وسيلة للتعبير عن الاحتجاج ضد نظام قائم أو حالة كبت، إذا ما استُخدم لإلحاق الأذى والضرر بغاية الحصول على التشجيع الخارجي كتشجيع الجمهور أو الجماعات أو تشجيع النادي. وفي هذا الإطار يعتبر العنف وسيلة لتحقيق غاية معينة. فيمكن، بالتالي، اعتبار أساليب وأنماط العنف التي ينتهجها الفاعلون الاجتماعيون داخل الفضاء الرياضي هي الأكثر شيوعا وانتشارا، تتأثر بالمناخ الثقافي والسياسي والاجتماعي والرياضي السائد وتؤثر فيه. فالساحة الرياضية بالنسبة لهم هي المتنفس والمكان المفضل لممارسة كل أشكال التعبير الحر بعيدا عن الرقابة التي تبقى أجهزتها عاجزة أمام المنعرجات وحراسها. فيمكن، بذلك، التفاعل الاجتماعي داخل الفضاء الرياضي في مجموعات تشجيع مقسمة باختلاف الشعارات والألوان والقادة الذين يسيرونها ويتحكمون في طرق تفاعلها داخل الفضاء الرياضي والاجتماعي.

## 4. واقع المجموعات والعقليات المتحكّمة فيها وأسباب لجوئها إلى أعمال العنف والشغب في الفضاء الرياضي:

### أ. الاقصاء والتهميش الجمعياتي:

تتعرّض مجموعات التشجيع، في الكثير من الأحيان، إلى نوع من اللامبالاة والاقصاء والتهميش من قبل جمعيتهم أو ناديتهم، وذلك، خاصة، حين ما يتعلّق الأمر بالدفاع عن حقّ الجماهير في متابعة المقابلات الرياضية في الملاعب (مطلب إلغاء عقوبة Huis- Clos) أو الدفاع عن «المظلومين من أولاد الفراج» الذين «لّفقلهم الحاكم Titre» أو التقصير في الدفاع عن مصالح النادي (من قبيل التفريط في اللاعبين ذوي الشعبية حيث تعتبره المجموعات الجماهيرية استهدافا لمصالح النادي وخدمة لمصالح بعض المسؤولين الشخصية). وما يعقّد المسألة، أحيانا، ويدفع بعض مجموعات نحو اللجوء إلى أعمال العنف هو معاملة إدارة الجمعية الرياضية لها على حساب مجموعات أخرى، من ذلك مثلا إتهام منتسبي مجموعات Curva Sud لإدارة الترجي الرياضي التونسي لتمييزها بمجموعة Ultra و Torcida Mkachkhin على حساب باقي المجموعات الأخرى، وإتهام إدارة النادي الإفريقي لتعاملها مع مجموعة Leaders Clubistes دونها عن باقي المجموعات الأخرى، وهو ما من شأنه أن يولّد تصادما بين هذه المجموعات، وبالتالي انتشار ظاهرة العنف بين الفئات الشبابية المكوّنة لهذه المجموعات سواء داخل الفضاء الرياضي<sup>51</sup> أو خارجه<sup>52</sup>.

تساهم الجمعية الرياضية، إلى جانب إحساس الجماهير بالتهميش وتمييزها بين المجموعات من خلال تقديمها لمجموعة دون أخرى الدعم المادي والمعنوي كوسائل النقل والمساهمات المالية لتأثيث الدخلة والحصول على مستلزمات التشجيع من شماريخ وغيرها، في انتشار عنف الملاعب من خلال العديد من الأساليب والسلوكات التي تمارسها وهي كالآتي:

- تدخّل هيئات الجمعيات لإفلات فئة كبيرة من مشجعيها من التبعات العدلية بسبب ما يقترفونه من سلوكات وتجاوزات قانونية في المقابلات الرياضية، وذلك دفاعا عن مشجعيها وقناعة منها بمكانة جماهيرها الرياضية وقدرتها على التأثير على مجريات ونتائج المقابلات.

<sup>51</sup> من ذلك مثلا الاتفاق الحاصل بين مكونات Curva Sud في مقابلة الدربي، حيث اتفقت 5 مجموعات جماهير على إقصاء مجموعة Torcida وذلك أنها من أزام النظام السابق، إلا أن مجموعات أخرى رفضت هذا القرار من بينها Zappatista و Fidayen...

<sup>52</sup> من قبيل الإغارة على مقرات واجتماعات المجموعات الزميلة أو المنافسة وخطف الـ Bache أو مصادرة شماريخ وطبول وغيرها. وهو ما حدث مثلا في ماي 2013، حين طالبت مجموعة Zappatista بفدية قدرها 12 ألف دينار لإعادة الـ Bache لمجموعة Supra Sud.

- تخصيص أسعار رمزية خاصة فيما يتعلق بأسعار المنعرجات التي تراوحت بين 3 دنانير و8 دنانير كحد أقصى. والمهم في المنطقة تأثيرها الرمزي، إذ يعتقد الجمهور أن «الفيراج» هو المكان الأنسب لتشجيع الفريق من خلال تحفيز المهاجمين ومؤازرة خط الدفاع وإقلاق راحة مهاجمي الفريق المنافس وحارس مرماهم.

- تمكين هيئات الجمعيات الرياضية بعض رموز مجموعات الأنصار وأوفياء «الفيراج» من اشتراكات سنوية مجانية. والجدير بالذكر، أن هذه الرموز القادة كثيرا ما نجد من بينهم من هم من ذوي السوابق العدلية الذين ينشطون ويستبدون ويسيطرون بدعم من بعض مسيري الجمعية، خاصة من خلال حمايتهم من التبعات العدلية وتمويلهم من أجل الحصول على المشروبات الكحولية والمخدرات في مقابل دفاع المستفيد عن مصالح المسير الرياضي وموقعه في النادي وإقناع الجمهور العريض بضرورة التمسك بخدماته بغض النظر عن نجاعة المسير وإخلاصه في إدارة الجمعية.

- المساعدة، قدر الإمكان، في إدخال «الدخلات» والرايات والشماريخ قبل وصول الأمن، ومن بوابات حجرات الملابس والمنصة الشرقية. وتتم هذه العملية قبل وصول الأمن إلى الملعب وقبل يوم أو يومين في بعض الحالات. وتشمل «المواد المهزبة» الشعارات المستفزة للنادي المنافس والهياكل الرياضية الظالمة والشماريخ والرايات التي تمنع السلط الأمنية مرورها من بوابات الملعب يوم المباراة.

- تغاضي الهيئات عن ضبط سلوكات لاعبيه وتصريحاتهم الصحفية وتغريداتهم على مواقع التواصل الاجتماعي.

## ب. عقليات مجموعات فريقي الترجي والافريقي وتجلياتها داخل الفضاء الرياضي:

تتواجد مجموعات الجماهير ومجموعات الأنصار بصفة دائمة في المنعرجات Virage، فيما أصبح يُعرف بـ Curva Sud (الضفة الجنوبية) و Curva Nord (الضفة الشمالية). هذه المنطقة من الملعب تُعتبر الأكثر ديناميّة من حيث حركة الجمهور وحماسه وانخراطه اللامحدود في تشجيع الفرق «للدقيقة تسعين» كما تردّد الجماهير في أهازيجها، إلا أن هذه المنطقة تعتبر الأخطر والأكثر شغبا والأكثر قابلية لتبني السلوكات العنيفة، خاصة مع بروز جيل جديد من الـ Tiffo تتراوح معدّل أعمارهم تقريبا بين 14 سنة و30 سنة، إضافة إلى عناصر من ذوي السوابق العدلية أو من الأطفال والشباب الموسومين بكونهم من الجانحين والمتعاطين للمخدرات والمشروبات الكحولية.

وقد تميّزت منطقة المنعرجات بالصلابة في مواجهة القوات الأمنيّة وإحكام السيطرة على المداخل والمخارج من وإلى Bloc، والميل بصفة تكاد تكون طاغية للعنف اللفظي من خلال الأهازيج «الثوريّة» التي يردّدونها، وفيما يلي جدول توضيحي لأهم دلالات الأهازيج التي يرددونها مجموعات مشجعي كل من النادي الإفريقي والترجي الرياضي التونسي كمثال لأهازيج الجماهير الرياضية في تونس:

الأهازيج		الدلالة
الترجي الرياضي التونسي	النادي الإفريقي	
<p>الملكشخ إرهابي ما عمبالو كي يدير القيرة face à face كي تحكملو. كي قلنا حزب الله ماناش هدارة شفتونا في الفيراج أولاد الحنشة باجة.</p>	<p>شهادة يا les jeunes والجهاد على - Les cou- leurs كتايب القسام بالله نمحيوا العديان. شهادة يا Les jeunes والجهاد على Les couleurs</p>	<p>النزعة الإرهابية والجهادية</p>
<p>فيراج الكامورا مافيا العاصمة. شفتو الحكومة تمشي تجول يحكيوا ويقولوا فيراج مهبول ويقيم الهول. شفت بعينك يالبوليس كي درنا الحرب عليكم.</p>	<p>حكومة فوتونا حكومة فوتونا... يالحكومة أعتقني نعرفي اللي تهواني.</p>	<p>القوة ضد القانون والنظام السياسي.</p>
<p>عمرك ما تشوف فيراج يخونك يا ترجي. هي حياتي وقلبي حتى حياتي نودها بها.</p>	<p>لفريقي عشرة ملايين حبينها عشقنا CA وما عشقناش تيتروات. حمرا وبيضاء couleur يجري في دمي.</p>	<p>العشق والوفاء.</p>
<p>ترجي دولة قالوها ناس بكري.</p>	<p>هادرة ماهي قادرة كيما قلتوا. Fort عليكم منا تخافوا.</p>	<p>التباهي بالقوة السياسية.</p>



الأهازيج		الدلالة
الترجي الرياضي التونسي	النادي الإفريقي	
يا عالي يا عالي انصر ترجي. العالي ديما حامينا. معانا العالي.	يا ربي يا عالي انصر لفريقي. ربي مولانا كبير غير أنت حط في بالك. معانا العالي.	الدعوات الدينية
من قديم الزمان يحكيوا علينا من قديم الزمان تغرموا بينا. الترجي يا عريقة.	تاريخ وعراقه Non cé compara. حاربنا لستعمار من عام عشرين. Réalité فاقوا بيها ناس بكري.	المكانة التاريخية
يالله يا ولاد يد وحدة مع الجمعية. Collectif كلنا الألتراس وبيننا تحلى اللمة. كالعادة اليوم تلمينا في الفيراج على الريح نوينا.	كالعادة جينا من كل مدينة. محلاها عيشتنا، حقرتوني وظلمتوني ميسالش هذه الدنيا. الفيراج هذيكا حياتي.	النزعة الجماعية
صيي صدمنا جمهورك يالترجي innormale. صادمين من العاصمة جيناكم شانعين.	ونحاربوا على جالها ولاد العاصمة اللين نحبوها. تحللهم باب جهنم والعاصمة en colère. قرحة sans arrêt	العنف والصراع
حرية جبنها بيدينا... وقلوبنا شرجي بالسلطة اللي تحكم فينا. Révolution شبان العاصمة. ويني الحرية كيما قلتو.	Jamais تنساو دري Hui-clos والميساج ياسر laire claire الجمهور هو اللي يحكم عدو سلطة في هالبلاد. L'independensa عندي بدات معاها الحرية.	الحرية

جدول عدد 7: دلالات أهازيج جماهير النادي الإفريقي والترجي الرياضي التونسي.

## ت. تأثير انفتاح المجموعات على النماذج الغربية وانعكاسها داخل الفضاء الرياضي:

تأثرت مجموعات التشجيع المحليّة بنموذج جماهير المدرجات في العالم الغربي في السلوك والمعتقدات والأفكار والتوجيهات والعقليات. ويمكن أن نذهب بالرأي إلى بداية نشأة صراع «عقليات» أو «إيديولوجيات» والذي غدّته التغيرات الاجتماعيّة والسياسيّة بعد الحراك الاجتماعيّة الذي عرفته تونس بعد الثورة.

العقليّة	جماهير النادي الإفريقي	جماهير الترجي الرياضي
برازيليّة	North Vandalez	Ultras Mkachkhin
مكسيكيّة	Dodgers Clubistes	Zappatista
إيطاليّة	-	Curva Sud
إسبانيّة	Leaders Clubistes	Matadors

جدول عدد 8: أمثلة من العقليات المتبناة من قبل مجموعات فريقي الافريقي والترجي الرياضي التونسي.

ولعلّ تنوع هذه العقليات واختلاف منطلقاتها ومرجعياتها وتوجهاتها وما قد ينجرّ عنه من تذبذب في سلوك هذه المجموعات التي أخذت تراوح بين القيم السائدة في المجتمع المحلي والأخرى الوافدة من البلد الأصلي للعقليّة. هو ما قد يبرّر حالات الصراع والتنازع التي تعرفها مدرجات الفريق الواحد وأحيانا حالة النشاز التي تحصل خلال فعاليات التشجيع. من ذلك مثلا تنوع الأهازيج المرفوعة في الآن نفسه وفي نفس الضفة من المدرجات، أو تعدّد الـBanderole في نفس الزاوية من الملعب. ولا يخفى على الملاحظ للجماهير الرياضية أنّ رواد المنعرجات Virage هم الأكثر ديناميكيّة والأكثر اهتماما بالفريق ونتائجه وهذا الحماس والاندفاع سرعان ما يتحوّل إلى انفعال تتخلّله أحداث عنف «فعنف التلميحات والتهديدات يهدّد دائما بالتحوّل إلى عنف جسدي، عندما يحاول المتخاصمون أن يكسبوا المواقع الفضلى». <sup>53</sup> وقد دأبت مجموعات الجماهير ومجموعات الأنصار على أن يلقبوا أنفسهم «بالجمهور الأخطر الذي يهابه الأمن» و«جمهور الشنعات» و«جمهور الموت» و«فيراج حزب الله» و«أحنا الطالبان» و«فيراج القرحة». <sup>54</sup>

<sup>53</sup> جان جاك، لوسركل، المرجع السابق، ص. 439.

<sup>54</sup> القرحة بتثليث القاف.

وفي هذا السياق أُكِّدَت مختلف الدراسات السوسولوجية وتقارير وسائل الإعلام والبحوث الأمنية، خطورة منطقة المنعرجات أو المدرجات الشمالية والجنوبية للملعب. وإذا ما جارينا Goffman في ما قدّمه من تفسير لفهم سلوك الأفراد والجماعات في مواقف التفاعل الاجتماعي والطريقة التي يقدّم بها «ولاد الفيراج» أنفسهم، اقتربنا أكثر إلى فهم هذه التصرفات والأفعال وتفسيرها. حيث يؤكد Goffman أنّ «سلوك الأفراد في موقف ما من المواقف الاجتماعية إنّما يحدّده فهم هؤلاء الأفراد لذلك الموقف والنتيجة المترتبة عنه من جهة ولتوقعات الآخرين منه من جهة أخرى.» وهو ما يبرّر التعزيزات الأمنية الكبيرة والمبالغ فيها أحيانا المحيطة بهذه المنطقة قبل وأثناء وبعد المباراة، فمن خلال متابعتنا لمختلف المقابلات الرياضية، على اختلاف أهمية الرهان فيها، لاحظنا أن نسبة كبيرة من قوات الأمن تتمركز وراء شبك المرمى وهي أقرب نقطة يمكن أن تتواجد فيها التعزيزات الأمنية حيث ترفض مجموعات التشجيع تواجد الأمن في هذه المنطقة من المدرجات أي في الـ Bloc أو الـ Virage، عكس بقية أجراء الملعب حيث نشاهد انتشار عناصر الأمن بين الجماهير في مقاعد Gradans و Pelouse و-En ceinte. ولعل حالة العداء والكره التي يكنّها رواد المنعرجات للعناصر الأمنية، تجسّدت في الشعار الأزلي لمجموعات «الألتراس» (ultras) والذي ترفعه في كلّ مناسبة وحتى بدون موجب A.C.A.B (All Cops are Bostardos). فالشتم، بما هو عنف لفظي كما وصّفه علماء الاجتماع وتفسّخ أخلاقي كما تقدّمه الصحافة وكما يصفه المجتمع التونسي، هو السلاح الوحيد المتوفر لدى المجموعات عندما يتحاورون مع الآخر المختلف عنهم القريب منهم جغرافيا والبعيد عنهم ترتيبيا وتنظيميا (الحواجز الحديدية، والحواجز الأمنية، البنية المعمارية للملاعب...). كما يعمل شعور الجمهور بالحرية وحالة الانعتاق من كلّ القيود الاجتماعية والدينية والقانونية أثناء المباريات، وبالتالي إحساسهم باللاعبين في شخصهم على إبراز «الجوانب الفائقة من شخصيتهم والمفرطة في اتساعها ورحابتها على حدّ تعبير King S...».<sup>55</sup> وبالتالي، فإنّ هذا الشعور بالانفلات والانعتاق ساهم في انتشار مختلف السلوكات غير السوية وغير المقبولة اجتماعيا وغير اللائقة رياضيا. وهذا إن دلّ على شيء فهو يدلّ على قوة وقدرة المدارج على عتق الأفراد وتحريرهم. وتقوم عملية التفاعل المستمرّ داخل هذا النظام الاجتماعي الموحد، أساسا على التفاعل الرمزي في شكل شفرات أو تعبيرات مجازية من قبيل «حنوشة» «خيالة» «جبورة»... وهي في واقع الأمر جملة من العبارات والمصطلحات المستعارة التي لا يفكّ شفرتها إلا «ولاد الفيراج» ويتداولونها فيما بينهم. «فاللغة لا توصل معلومات بل توصل رغبات، وأول هذه الرغبات الرغبة في أن يكون المتكلّم موضع اعتراف وعنفا، وهو ضروري للوصول لاعتراف الآخرين».<sup>56</sup>

<sup>55</sup> حلمي، ساري (2012)، مقارنة نفسية واجتماعية لفهم كيفية إدارة الشباب سلوكه وعواطفه في وسائل الاتصال الرقمي، منشورات وحدة بحق ثقافات فنية ومعارف وتكنولوجيا، جامعة قابس، تونس، ص. 51.

<sup>56</sup> جان جاك، لوسركل، المرجع السابق، ص. 444.

ويتجاوز هذا التفاعل الرمزي التمييز اللغوي ومختلف الاستعارات ليشمل حركات اليد والرأس وخلع الأقمصة والالتفاف والقفز في مختلف الاتجاهات بطريقة قد تبدو عشوائية وهمجية للوهلة الأولى، إلا أنها تطبق لعقلية l'anarchie الوافدة من ملاعب الـ Maracaña والمكسيك. وقد اكتسبت التفاعلات الرمزية المستمدة من الجسد والمستلهمة من صورته، دلالات متعددة الأبعاد وذات معاني مختلفة.. «فالجسد الإنساني ليس فقط موضوعا طبيعيا ولكنه أيضا إنتاج اجتماعي أُعدّ ليكون جسد اجتماعي».<sup>57</sup>

وهكذا أصبحت روح التفاعل الجماعية تحرك شباب مجموعات التشجيع وتتحكم في سلوكهم سواء تعلّق الأمر بالفرح أو الغضب أو الاحتجاج. فقد أصبحوا يتفاعلون ويتواصلون وفق نظام اجتماعي جديد ينصهر فيه السلوك الفردي صلب السلوك الجماعي «عندما يشعر الفرد في موقف الحشد أنه يشبه مخلوقا جبر عن الكراهية يجد متنفسا جماعيا في شكل موضوع المباراة يطلق نحوه جميع ما يحتاج في نفسه من مشاعر سلبية».

يساهم، إذن، هؤلاء الفاعلون الرياضيون في تشكّل ظاهرة العنف الجماعي هدفهم من ذلك حماية المجموعات والأفراد أو ما اصطلح عليهم «ولاد الفيراج» «جمعية» «ولد الـ Secteur» «ولد الـ Groupe». وقد يكون الهدف أيضا «طرد الخصم من الميدان إمّا بانسحابه جسديا أو تراجعته إلى حالة من الغضب أو إلى حالة من العته الأخرس».

---

<sup>57</sup> النفوطي (عبد الكريم)، مرجع سابق، ص 126، نقلا عن Jean Marie Brohan ; Le Corps, Sociétés, Science, Politiqué, Imagi- naires ; Paris-Berlin ; 1992.  
<sup>58</sup> أمين أنور، الخولي، المرجع السابق، ص. 273.

## الفصل الخامس:

### مقترحات وحلول للحدّ من العنف في الفضاء الرياضي

#### 1. القوانين التأديبية وآليات التنفيذ:

- تحيين القوانين التأديبية بما يتماشى مع شكل وحدة العنف الممارس داخل الفضاء الرياضي.
- إحداث شرطة مختصة في المجال الرياضي، شبيهة بالشرطة البيئية، يعهد لها تطبيق العقوبات المسلطة على مرتكبي العنف الرياضي.

#### 2. الإعلام الرياضي والخطاب المعتدل:

- تعديل الخطاب الإعلامي، وتجنب التدخلات المثيرة للاستفزاز والنعرات الجهوية وترسيخ خطاب يقوم على مبدأ الروح الرياضية.
- برمجة برامج رياضية تساهم في نشر ثقافة رياضة المنافسة الشريفة والتعريف بالقوانين التأديبية الرياضية والتعريف بالرياضة كعامل اجتماعي وصحي.
- تجنب نشر وبتُّ أحداث العنف في الفضاء الرياضي والتركيز على السلوكات الإيجابية والتحري المسبق قبل نقل الخبر.
- منع تمرير التدخلات الانفعالية لرؤساء الجمعيات والمدربين واللاعبين بعد نهاية المباريات والابتعاد عن التشهير أو عرض الاتهامات من أجل السبق الصحفي.

#### 3. المنشأة الرياضية والحوكمة في التسيير:

- التعويل على خدمات الشركات الخاصة والمختصة في حماية المنشآت الرياضية وتأمين الحشود والتي لها إطلاع وخبرة في الدول الأجنبية في تأمين المقابلات الرياضية داخل الفضاء الرياضي واستغلال الشراكة بين العام والخاص، واقتصار دور رجال الأمن على خارج الفضاء الرياضي الذي هو من مشمولاته لحماية المواطنين، وباعتبارهم أصبحت صورتهم مرتبطة بالسلطة وكذلك بالعنف في الملاعب.
- اعتماد التقنيات العالية الجودة من كاميرات وآلات تصوير لمراقبة ورصد تحركات المشجعين والمسارعة إلى التدخل دون المرور إلى الأعمال العنيفة المُستفزة للجمهور.
- ضرورة التخطيط المحكم والمسبق لمجابهة الفوضى والعنف وعدم اعتماد التدخلات الارتجالية، وتأمين الملاعب ومعرفة خصوصية المحيط وحسن تقدير الإمكانيات البشرية واللوجستية.

- تأمين كل المداخل، دون استثناء، والمدرجات والفصل بين المشجعين وحماية كل الأطراف المتدخلة في الفضاء الرياضي.
- برمجة ندوات وحلقات تكوينية لرفع الوعي لدى المعنيين بتأمين المقابلات الرياضية، مع محاولة اشراك قادة المجموعات أو رؤساء الأعباء في المحافظة الأمن داخل الملعب.
- برمجة عروض فرجوية وموسيقية مع المباريات تقدم عروضها قبل المباراة وأثناء أوقات الراحة وعن نهاية المباراة للحد من الضغط النفسي للجماهير.
- إعادة النظر في المدارج ومحتوياتها مع الأخذ بعين الاعتبار المقاييس الدولية.
- تجنيد فرق تنظيم من إدارة المنشأة تعاضد تدخلات المختصين في تأمين المقابلة الرياضية.
- تأمين المنشآت الرياضية بحيث يمكن توقع جميع الأخطار الممكنة وحسن الاستعداد لها ووضع الاحتمالات الطارئة وتدريب المتدخلين للقيام بها.
- تجهيز المنشأة الرياضية بالمعدات والأجهزة والأدوات اللازمة ووسائل النقل والاتصال الكافية.

#### 4. الجانب العلائقي بين المجموعات والجمعيات الرياضية ورجال الأمن:

- تكوين رجال الامن وبرمجة حلقات تواصل مع ممثلين عن الجماهير باعتبار أن الجماهير الرياضية لم تعد على الشاكلة التقليدية التي عهدناها في ملاعبنا الرياضية قديما، وإنما تحولت إلى قوى منظمة بشكل دقيق على شاكلة مجموعات وشبكات تعتمد فيما بينها مختلف التقنيات والوسائط الحديثة للاتصال والتواصل فيما بينها، مما يصعب مهمة أي طرف وفي مقدمتهم رجال الأمن فهم هذه المجموعات أو التحكّم فيها.
- الاتفاق على كراس شروط بين قادة المجموعات ووزارة الداخلية وبالتنسيق مع ممثلي الشركات الخاصة بالخدمات الأمنية حول المعدات المسموح الدخول بها إلى الفضاء الرياضي، وإمكانية تحيين هذه الكراس عند الضرورة وبطلب من أحد الطرفين.

#### 5. فرض الروح الرياضية ودرء الرياضة عن مظاهر الفساد:

- وضع إجراءات وتدابير صارمة لمكافحة الفساد في المجال الرياضي.
- إحداث هيئة مختصة صلب وزارة شؤون الشباب والرياضة أو اللجنة الوطنية الأولمبية تعهد لها مهمة مناهضة الفساد في المجال الرياضي.
- تحيين مستمر للقوانين والتشريعات الرياضية والحرص على تمكين كل الأطراف منها وتكوينه فيها.
- التعامل مع المجتمع المدني للعمل على تنوير مواقف الناس للفساد ودفعهم لمقاومته.
- اعتماد الشفافية في تطبيق القوانين المنظمة للمباراة واستبعاد الحكام غير الأكفاء.

## الخاتمة:

شهدت ظاهرة العنف في الفضاء الرياضي التونسي، خاصة في ملاعب كرة القدم، تفاقماً وارتفاعاً في النسب بصفة ملحوظة، وانعكاسات سلبية سواء على المشهد الرياضي، بكل مكوناته، أو على المجتمع التونسي، بكل شرائحه. خاصة مع ما نشهده من انفلات أمني بعد الثورة، ولو بات يتقلص، وتزامناً مع بروز مظاهر دخيلة على مجتمعنا أطاحت بفئة كبيرة من الشباب وأوقعتهم في الإرهاب. استرعى، كل هذا، انتباهنا ودفعنا لدراسة ظاهرة العنف في الفضاء الرياضي التونسي من جميع جوانبها وأبعادها، ورصد أهم مظهراتها وانعكاساتها على الوضع الرياضي والمجتمعي، مقدمين بعض المقترحات والحلول الوقائية والإجراءات العملية التي يمكن اعتمادها، علّها تساعد على الحد من هذا العنف الرياضي الذي بات يشوّه تظاهرات الرياضية.

## البليوغرافيا

### المعاجم:

أحمد زكي، بدوي (1978)، معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية، مكتبة لبنان، بيروت.  
جميل، صليبا (1982)، المعجم الفلسفي، جزء 2، دار الكتاب اللبناني، بيروت.  
ريمون، بودون (1986)، المعجم النقدي لعلم الاجتماع، ترجمة سليم حدّاد، ديوان المطبوعات الجامعيّة، الطبعة الأولى، الجزائر.

### المراجع باللغة العربية:

إلياس، الزحلاوي (1993)، المجتمع والعنف، المؤسسة الجامعيّة للدراسات والنشر والتوزيع، ط 3، بيروت.  
أمين أنور، الخولي (1996)، الرياضة والمجتمع، عالم المعرفة، سلسلة عدد 216، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب - الكويت.  
جان جاك، لوسركل (2005)، عنف اللغة، ترجمة محمد بدوي، المركز الثقافي العربي، الطبعة الأولى، الدار العربية للعلوم، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، الدار البيضاء، بيروت.  
جان ماري، مولر (2009)، اللّاعنف في التربية، ترجمة محمد علي عبد الجليل، معابر للنشر والتوزيع، ط 1، دمشق.

جوهر، الجموسي (2007)، المجتمع الافتراضي، تونس.  
حسن، توفيق إبراهيم (1992)، ظاهرة العنف السياسي في النظم العربيّة، مركز دراسات الوحدة العربيّة، ط 1، بيروت.

حلمي، ساري (2012)، مقارنة نفسيّة واجتماعيّة لفهم كينيّة إدارة الشباب سلوكه وعواطفه في وسائل الاتصال الرقمي، منشورات وحدة بحق ثقافات فنيّة ومعارف وتكنولوجيا، جامعة قابس، تونس.  
فتحي، عيد (2008)، أمن المنشآت الرياضية، الدورة التدريبية التنظيم والإدارة الرياضية خلال الفترة من 10 إلى 14 نوفمبر 2008، جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية، الرياض-السعودية.  
محمد، مامسر (1989)، دراسة تحليلية لظاهرة عنف الملاعب الرياضية في الوطن العربي، الندوة الآسيوية السادسة للعنف الرياضي، الأردن.



مليكة، لويس كامل (1980)، سيكولوجية الجماعة والقيادة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة.  
المنصف، وناس (2011)، الشخصية التونسية: محاولة في فهم الشخصية العربية، الدار المتوسطة للنشر،  
ط 1، تونس.  
يحيى، النقيب (1990)، علم النفس الرياضي، الرئاسة العامة لرعاية الشباب، الرياض- السعودية.

## التقارير الحكومية:

التقارير الأمنية لوزارة الداخلية حول أحداث الشغب والعنف المسجلة بالفضاءات الرياضية خلال سنتي  
2017 و2018.

المركز الوطني للشباب (2006)، الظواهر السلوكية الجديدة لدى الشباب: من التشخيص إلى استشراف  
آليات الوقاية، المطبعة الرسمية للجمهورية التونسية، تونس.

التقارير السنوية لوزارة شؤون الشباب والرياضة خلال الفترة المتراوحة ما بين سنة 2003 وسنة 2016

## البحوث العلمية:

إبراهيم، حمداوي (د.ت)، العنف في الملاعب الرياضية: حجم المشكلة وإمكانيات الحلول ودور وسائل  
الاعلام في الحد من تفشي الظاهرة، المغرب.

إيناس، محمد عليّات (2011)، التجربة الأوروبية في الحدّ من شغب الملاعب الرياضية، الجامعة الهاشمية  
الأردن.

حاتم، العوني (2015)، العنف بالملاعب الرياضية، بحث ماجستير في التسيير الرياضي، المعهد العالي  
للرياضة والتربية البدنية بالكاف.

عبد الكريم، النفوطي (2014)، الجمهور الرياضي وآليات تشكّل العنف، بحث لنيل الماجستير في علم  
الاجتماع، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية بتونس، الجمهورية التونسية.

لطيفة، جعيدان (2007)، العنف في المجال الرياضي، بحث لنيل شهادة ال ماجستير.

## المراجع باللغة الأجنبية:

- Erving. Goffman (1974), Les rites d'interaction, Ed. Minuit, Paris
- Jean Marie. Brohan (1992), Le Corps, Sociétés, Science, Politiqué, Imaginaires ; Paris-Berlin ; 1992
- Jean. Izet (2005), Sociologie De Erving Goffman ; La Découverte ; Paris
- Michel. LALLEMENT (1973), Histoire des idées sociologiques de Parsons aux contemporains ; Nathan ; 2ème Ed ; Paris
- Pierre. Bourdieu (1997), Sur le Pouvoir Symbolique, Ed. Minuit, Paris
- Pierre. Bourdieu et Jean Claude. Passerons (1970), La Reproduction Elément Pour la Théorie Du Système D'enseignement, Ed. Minuit, Paris
- Semia. Chebchoub, Sur La Violence, Revue Tunisienne de Science Sociale, C.E.R.E.S, Tunis